

جمهورية مصر العربية
وزارة الثقافة
مركز تحقيق التراث

نزهة النفوس والأبدان
في تواريخ الزمان
للخطيب الجوهري علي بن داود الصيرفي

الجزء الثالث
(٨٢٥ - ٨٤٢ هـ)

تحقيق وتعليق
الدكتور حسن حبشي

مطبعة دار الكتب
١٩٧٣

مقدمة

يصدر هذا الجزء الثالث من نزهة النفوس والأبدان تنمة لسابقه وإن أعقبه الرابع ختاماً لما تبقى لدينا - مما هو معروف حتى الآن - من هذا الكتاب الذى ألفه على بن داود الجوهري الصيرفي، والذى هو - بأجزائه الأربعة هذه - فى اعتقادنا حلقة من سلسلة طويلة أزمع المؤلف على وضعها للتاريخ العربى الاسلامى منذ الجاهلية حتى عصره، أعنى ختام القرن التاسع الهجرى : ولست فى هذا المجال ولا فى هذه العجالة القصيرة بصدد الكتابة التفصيلية عن هذا القسم وصاحبه ، بعد أن أشرت إلى شىء من ذلك فى مقدمة الجزء الأول من هذا السفر ، وكما أشرت من قبل أيضاً إلى الصيرفى فى المقدمة التى أدرجتها بين يدى ما نشرته له من كتاب آخر هو « إنباء المصير بأنباء العصر » ، وإن كنت فى الوقت ذاته أرجو أن تمكننى الظروف من كتابة دراسة مطولة بعض الشىء فى الجزء الرابع - وهو الأخير فى الوقت ذاته - من تحقيقى لهذا الكتاب :

* * *

ولقد حاولت ما وسعنى الجهد أن أعرف بقدر الإمكان بما يعترض سبيل مطالعة من تفسير وترجمة لبعض مما يقرؤه وهو فى رحلته مع الصيرفى ، فى هذا الجزء ، مع الرجوع فى تجميع الأخبار والشروح من مظانها : القديمة والحديثة على السواء فى العربية وغيرها مما أسعفتنى به ظروف المكان بالاطلاع عليه :

وإذا كان لي رجاء فهو أن نخرج هذا الكتاب في صورة تيسر للقارئ مطالعته دون مشقة أو عناء ، وكل ما أتمناه أن يجد فيه طلاب التاريخ - متناً وحاشية - ما يوضح أمامهم شعاب هذه الفترة من ناحية الأحداث والتراجم والألفاظ والمصطلحات ، ولست أزعم أنني قد بلغت ما أرجوه من الصورة التي أحب أن يكون عليها تحقيق المخطوطات ونشرها، ولكن المحاولة اجتهاد ، والاجتهاد قد يبلغ حدّاً لا بأس به من الإتيان أو قد يقصر عن بلوغ الغاية ولكنها على أية حال مساهمة في بجلاء جوانب من تاريخنا الذي هو بضعة من تاريخ الإنسانية في موكب تقدّمها ، وأرجو أن أسمع من القدر البناء ما يقوم ما قد يكون فائتي سهواً أو تقصيراً غير مقصود أو مفروض بظروف خارجة عن إرادتي ، والكمال لله وحده ، ومنه أستمد العون وهو نعم المولى ونعم النصير :

طرابلس في ١/٨/١٩٧٣ .

حسن حبشي

سلطنة نظام الملك الملك الأشرف أبي النصر برسباي

لما وقع ما وقع من حركة طرباي أمير كبير وحضر كافل المماكة الشامية المسمى تاني بك ميق اقتضى رأيه ورأى أهل الدولة وأصحاب الحل والعقد أن تكون السلطنة لشخص كبير يفهم الخطاب ويرد الجواب ، وينظر في أحوال الناس ، ويدبر الأمر ، وينصر المظلوم ؛ ولم يروا كفواً لذلك وأهلاً إلا نظام الملك برسباي لكونه متصفاً بصفات الكمال من الدين والفقه والمهابة وطهارة الذيل واللسان ، وقوة القلب والحنان ، والشجاعة والفروسية ، فاختروه أن يتولى أمرهم ويضبط ما كانهم ما عرفوا فيه من مصالح العباد وإصلاح البلاد ، فاجتمعت الأمراء والخليفة - وهو المعتضد بالله داود العباسي - والقضاة الأربعة وأرباب الدولة ونائب الشام تنبك ميق فعقدوا له بالسلطنة ، ولقبوه بالملك الأشرف ، وكنوه «بأي النصر» ،

(١) هو تاني بك ميق العلائي الظاهري ، هذا وقد ذكر أبو المحاسن في النجوم الزاهرة ، ٥٤٣/٦ هـ أنه لما قدم من الشام تلقاه برسباي « ونثر على رأسه الذهب والفضة » ثم خلا به برسباي وعرض عليه سلطنة مصر والشام باعتباره (أي باعتباره تاني بك ميق) « أغات المالك وكبيرهم وأقدمهم هجرة » ، فرفض تاني بك ذلك العرض ، ثم قام وقبل الأرض بين يدي برسباي وقال له : « ليس لها غيرك » ، فشكره برسباي وبذلك أصبح سلطاناً على مصر والبلاد الشامسية ، انظر أيضاً النجوم الزاهرة ٦/٧٧٩ ، والضوء اللامع ٣ / ٢٦ ، Melange de la Faculté de Beyrouth, P. 346-7 ; Description de Damas, Journal Asiat., t. II, p. 297, 483 وانظر أيضاً ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٣١٢ ترجمة رقم ٦ .

وَأَبْسُ الْخَلْعَةِ الْخَلِيفَتِيَّةِ - وَذَلِكَ قَبْلَ الظَّهْرِ بِمَقْدَارِ دَرَجَتَيْنِ - يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ الثَّامِنِ مِنْ رَيْبِيعِ الْآخِرِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنَى سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ - وَلَمَّا عَقَدُوا لَهُ السُّلْطَنَةَ كَانَ بِمَرْقَدِ الْأَشْرَفِيَّةِ ^(١) ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنْهَا وَرَكِبَ وَعَلَى رَأْسِهِ الْقُبَّةَ وَالطَّيْرَ ، وَدَخَلَ الْقَصْرَ ، وَنُصِبَ لَهُ تَحْتَ فِي الْقَصْرِ الْكَبِيرِ فَجَلَسَ عَلَيْهِ ، وَقَدِّمَتْ لَهُ الْقَصَصُ فَعَلَّمَ عَلَى بَعْضِهَا ، وَتَقَدَّمَ الْأَمْرَاءُ وَأَرَادُوا أَنْ يَقْبَلُوا لَهُ الْأَرْضَ فَمَنَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ فَقَبِلُوا يَدَهُ ، وَبَطَلَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمَ بَوْسُ الْأَرْضِ ، ثُمَّ نَهَضَ وَطَلَعَ الْقَصْرَ الْمُسَوَّاتِي ، وَكَانَ لَهُ يَوْمَ مَشْهُودٌ وَجَمْعٌ مَحْمُودٌ :

* * *

وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ التَّاسِعِ مِنْ رَيْبِيعِ الْآخِرِ خَلَعَ عَلَى تَنَبُكٍ مِيقَ نَائِبِ دِمَشْقَ وَاسْتَقَرَّ عَلَى عَادَتِهِ فِي نِيَابَةِ الشَّامِ ، وَخَلَعَ عَلَى الْأَمِيرِ بَيْبِغَا الْمَظْفَرِيِّ ^(٤) وَاسْتَقَرَّ أَتَابِكُ الْعَسَاكِرِ بِالْمَدْيَارِ الْمَصْرِيَّةِ عَوْضًا عَنِ الْأَمِيرِ طَرِيَايَ بِحُكْمِ مَسْكِهِ ، وَخَلَعَ عَلَى الْأَمِيرِ قَجَجَسَقِ الْعَيْسَاوِيِّ الَّذِي كَانَ أَمِيرَ مَجْلِسٍ وَاسْتَقَرَّ أَمِيرَ سِلَاحٍ عَوْضًا عَنِ بَيْبِغَا الْمَظْفَرِيِّ بِحُكْمِ انْتِقَالِهِ فِي أَتَابِكِيَّةِ الْعَسَاكِرِ ، وَخَلَعَ

(١) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ ، هَذَا وَيُلَاحِظُ أَنَّهُ لَمَّا قَوَّضَ الْخَلِيفَةُ الْمَتَضَدَّ بَاقِيَهُ لِبَرْسَايَ تَدْبِيرَ أُمُورِ الْمَمْلَكَةِ نِيَابَةً عَنِ السُّلْطَانِ الصَّغِيرِ الصَّالِحِ مُحَمَّدٍ تَقَرَّرَ أَنْ يَسْكُنَ بَرْسَايَ بِطَبَقَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ عَلَى عَادَتِهِ ، أَمَّا الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ طَرِيَايَ فَسَكَنَ فِي دَارِهِ تَجَاهَ بَابِ السَّلْسَلَةِ ، أَنْظَرَ فِي ذَلِكَ النُّجُومَ الزَّاهِرَةَ ٦ / ٥٣٢ .
(٢) فِي الْأَصْلِ « وَتَقَدَّمت » .

(٣) فِي الْأَصْلِ « يَوْمًا مَشْهُودًا وَجَمْعًا مَحْمُودًا » .

(٤) هُوَ بَيْبِغَا الْمَظْفَرِيُّ الْبَرْكِيُّ ، رَاجِعْ عَنْهُ النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٣ / ١٠٦ ، وَإِنْبَاءُ الْفَرَسِ ٢ / ٤٤٥ تَرْجُمَةً رَقْمَ ١٥ ، وَالضُّوْءُ اللَّامِعُ ٣ / ١٠٦ ، وَابْنُ إِبْرَاهِيمَ : بِدَائِعُ الزُّهُودِ ٢ / ١٥ - ١٧ .

(٥) الضُّبْطُ مِنَ الضُّوْءِ اللَّامِعِ ٦ / ٧٠٢ ، وَهَسُو قَجِيقِ الشَّعْبَانِيِّ الظَّاهَرِيِّ بِرُقُوقٍ ، وَلَمْ أَجِدْ فِي تَرْجُمَتِهِ بِالضُّوْءِ مَا يَقْبِلُهُ تَلْقِيهِهِ بِالْعَيْسَاوِيِّ وَإِنْ وَرَدَتْ فِي النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ ٦ / ٧٩٤ ، أَمَّا ابْنُ حَجَرٍ : إِنبَاءُ الْفَرَسِ ٣ / ٢٨٠ تَرْجُمَةً رَقْمَ ١٠ فَقَدْ ضَبَطَهُ بِضَمِّ الْقَافِ وَالْجِيمِ .

على الأمير آقبا التمرآزي واستقر أمير مجلس عوضاً عن الأمير قجق بحكم انتقاله إلى وظيفة أمير سلاح :

وفي يوم الخميس السادس عشر من ربيع الآخر كانت خدمة الإيوان : وفيه خلع على الأمير بيبغا المظفرى واستقر ناظراً على البهارستان المنصوري على عادة من تقدمه ، وُخلع أيضاً على الرسل الذين قدموا من الإفرنج وركبوا على خيول مسومة بسروج مفرقة وكتائب زركش :

وفي العاشر من جمادى الآخر وصل الخبر بأن نائب صفد : الأمير إينال - الذى تولّاها عوضاً عن شاهين الأعور - قد عصى على السلطان واتفق مع نائب القلعة - وهو أخوه - وأخرجوا الأمراء المحبوسين في القلعة ، وهم : الأمير يشبك الأناى الذى كان أستاذار العالية ، والأمير

(١) كان آقبا الملائى التمرآزي من ولى نيابة الإسكندرية ، ومات بدمشق سنة ٨٤٣ ، وقد وصفه السخاوى في الضوء اللامع ١٠١٢/٢ بأنه كان «دينا متهجدا» وتخرج به جماعة في فن الفرنسية ، هذا وقد اكتفى ابن حجر في وفيات سنة ٨٣٩ بالإحالة إلى ما ذكره عنه في الحوادث ، انظر أيضاً ابن اياس : بدائع الزهور ٢ / ٢٥ وما بعدها ، Sobernheim : Materiaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, Syrie du Nord (in) Memoires de l'Institut français d'Archeologie Orientale, t, xxv., p. 68.

(٢) الكتائب جمع كنبوش . بفتح الكاف ، والأرجح أنها متديل رأس من البز تحفظ بها رؤس الأطفال ، راجع المعجم المفصل بأسماء الملابس العربية ، لدوزى ، ص ٣١٤ ، ٣١٥ .
(٣) كان خروج على الأشرف برسبای بسبب وفاته لأستاذ طغر إذ كره من الأشرف أن يقدم على ما أقدم عليه من خلع الملك الصالح وأخذ مقاليد السلطنة بدلا منه .

(٤) أى قلعة صفد .

(٥) قيل إنه سمي بالأناى لقدمه مع أمه من بلاده ، إذ أن كلمة « أنالى » كلمة تركية ويقصد بها « له أم » . هذا ويلاحظ أن الضوء اللامع ١٠٧٨/١٠ أشار إلى أن طغر حبسه في شعبان سنة ٨٢٤ حتى مات ، وورد في إنهاء الفهر ٣ / ٢٤٧ أنه قبض عليه في ذلك العام مع من قبض عليه من الأمراء المنيديّة لما أرادوا الوثوب على طغر في آخر شعبان ، ووردت الإشارة في النجوم الزاهرة ٦١/٦٥ إلى أن برسبای كتب لثائب الشام بالقبض على يشبك أنالى هذا .

(١) لينسأل الحكيم الذي كان رأس نوبة كبيراً والأمير جلبان الذي كان أمير آخوور ثانياً أحد المقدمين؛ ثم جاء الخبر بأن هؤلاء الأمراء قصدوا نائب الشام^(٢)، وأظهروا الطاعة للسلطان، وحضر بهذا الخبر مملوك^(٣) من عند نائب الشام في يوم الإثنين الثالث والعشرين من جمادى الآخرة وخلع عليه خلعة عظيمة، ثم جهز السلطان لهم ثلاث خلع بطرز زركش عراض، وأرسل تشریفاً للأمير^(٤) مقبل [الحسامي] أتابك العساكر بدمشق واستقر في نيابة صفد؛ وكان نائب صفد لمسا عصى أرسل كتاباً مع قاضيه إلى نائب الإسكندرية الأمير^(٥) فارس فأرسل القاصد^(٦) صحبة الكتاب إلى السلطان فقطع السلطان يده وأذنه ثم عزل فارساً عن الإسكندرية وطلبه إلى القاهرة على إقطاعه [ولم يره وهي] مقدمة ألف، واستقر عوضه الأمير أسندمر^(٧).

(١) الوارد في الضوء اللامع ٢ / ١٠٧٤ أن الظاهر ططر حبسه وظل في الحبس حتى أطلقه الأشرف برسبای، ومع أن وفاته كانت سنة ٨٤٢ إلا أن ابن حجر لم يترجم له في رفيات هذه السنة في إنبائه، راجع عنه ابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ص ٢٣٦، وأبو المحاسن: مورد الطائفة ص ١٢٥، Sobernheim: Matériaux pour un Corpus inscriptiorum، arabicarum, Syrie du Nord, pp. 67-68.

(٢) وكان إذ ذاك الأمير تلبك ميق.

(٣) في الأصل «مملوكا».

(٤) كان مقبل الزين الحسامي الرومي في الأصل مملوكاً لبعض أمراء دمشق، ثم اتصل بالمؤيد شيخ الذي عمله خاصكها حين آلت إليه السلطنة، راجع السخاوي: الضوء اللامع ١٠ / ٦٩٦.

(٥) ورد اسمه مجرداً هكذا أيضاً في الضوء اللامع ٦ / ٥٤٩، وقال عنه وفارس: أحد المقدمين بمصر، ويستفاد من ترجمته هذه أنه هو المقصود في المتن إذ يشير إلى أنه ولي نيابة الإسكندرية في عهد ططر، وقد اكتفى أبو المحاسن في النجوم الزاهرة بتسميته «فارس دوادار ططر»، وخلت رفيات سنة ٨٢٦ في إنهاء النمر من الترجمة له.

(٦) خلعت السلوك، ورقة ٣٥١ ب من الإشارة إلى غضب برسبای على فارس، لكن يستدل منها على أنه استدهاه وخلع عليه، وهذا يقارب ما ورد في النجوم الزاهرة.

(٧) راجع ترجمته في النجوم الزاهرة ٦ / ٥٦١، ٥٦٩، والضوء اللامع ٢ / ٩٨٨.

النورى أحد المقدمين بالديار المصرية وتُخلع عابسه يوم الخميس السادس والعشرين من جمادى الآخرة ، ثم توجه إلى محل ولايته .

وفي يوم الخميس الثالث من شعبان كسر الخليج ونزل إليه الأمير الكبير ببيغ المظفرى ، ووافق الكسر قبل دخول مسرى بيومين وهذا شيء غريب لم يتفق إلا قليلاً ، وقد انتهى في هذه السنة إلى عشرين ذراعاً وإصبع من أحد وعشرين ، وغرق أكثر الأراضي والغيطان ، ورسم السلطان للأمراء بالتركيز على السواحل ليحفظوا الحسور خوفاً من الغرق يطرق أطراف البلد من الغيطان والبيوت والعمائر ، وكان انتهاء زيادته إلى العشرين من رمضان ، وتوقف من الحادى والعشرين منه فلم يزد ولم ينقص ، ورويت في هذه السنة أراضٍ كثيرة لها عدة سنين لم يطرقها الرى مثل جزيرة بنى النصر وأمثالها .

(١) عبارة أبى المحاسن فى النجوم الزاهرة ٦ / ٥٦١ صريحة فى أن ذلك تم يوم ٢٧ رجب وليس فى شهر جمادى الآخرة .

(٢) اتفق أبو المحاسن والمقرئى فى كل من النجوم الزاهرة والسلوك على أن الخميس هو ربيع شعبان وليس بثالثه ، غير أن ماورد فى جدول السنين فى التوقيقات الإلهامية ، ص ٤١٣ ، يطابق ماورد فى المتن من أن الثلاثاء كان أوله ويوافق السابغ والمشرون من أبيب من شهور القبط سنة ١١٣٨ ، لكنه ذكر أن الوفاء كان يوم ١٩ أبيب ، وهذا هو نفس ما جاء فى تقويم النيل لأمين سامى ج ١ ص ٢١١ ، هذا وقد كانت غاية الوفاء عشرين ذراعاً وإصبعاً من إحدى وعشرين ذراعاً ، وثبت على ذلك إلى نصف هاتور سنة ١١٣٩ أى العاشر من نوفمبر ١٤٢٢ م .

(٣) فى الأصل « وإصبعاً » .

(٤) سماها القاموس الجغرافى للمدن المصرية ، ق ١ ، ج ١ ص ٢١٣ - ٢١٤ بجزيرة بنى نصر وليست بجزيرة بنى النصر ، وعرفها بأنها كانت من أقسام الوجه البحرى القديمة ، وكانت تشمل المنطقة الواقعة على الشاطئ الشرقى لفرع رشيد من محلة اللبن بمركز كفر الزيات شمالاً إلى منطقة زاوية وزين بمركز منوف ، وهى منسوبة إلى قبيلة بنى نصر التى هى بطن من هوازن من العدنانية ، أنظر فى ذلك القلمشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، ص ٤٣١ ، ٤٤٢ .

وفي يوم الإثنين الحادى والعشرين من شعبان خلع على القاضى بدر الدين [١١٤] العينى واستقر فى حسبة القاهرة ومصر عوضاً عن القاضى صدر الدين أحمد^(١) بن القاضى جمال الدين محمود المعجمى بحكم عزله ، وأضيف إليه أيضاً النظر فى الأحكام الشرعية مضافاً إلى ما ييسده من نظر الأحباس المبرورة بالديار المصرية .

وفي يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من رمضان أُخلع على الأمير أيتمش الخضرى واستقر أستاذار العالية عوضاً عن الأمير أرغون^(٢) شاه [النوروزى الأعور] بحكم عزله ، وُخلع أيضاً على تاج الدين بن الهيصم واستقر ناظر الديوان المفرد على عادته .

(١) هو الصدر أحمد بن محمود بن محمد بن عبد الله بن الجبال ، العشيرى الأصل القاهرى الخنى ، وكان يعرف بابن المعجمى ومولده سنة ٧٧٧ ، وتعلم على أيدي جماعة من علماء الأعاجم وغيرهم ، وشغل كثيراً من الوظائف الضخمة التى يشغلها كبار رجال العياثم كالتوقيع بديوان الإنشاء ونظر الجيش بالشام والحسبة بالقاهرة ونظر الجوالى ، وقد لقي الصدر شدة زمن الناصر فرج ، وكانت وفاته سنة ٨٣٣ ، أنظر عنه ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٢ ص ٤٤٢ ؛ ترجمة رقم ٨ ، والسخاوى : الضوء اللامع ٢ / ٦٢٣ .

(٢) هو أيتمش الخضرى القاهرى برقوق ، تأتتر عشرة زمن المؤيد شيخ فلما جاء برسبى إلى السلطنة ولاء الأستاذارية الكبرى لكنه لم يوفق فيها ، هذا وقد وصفه ابن حجر حين ترجم له فى وفيات سنة ٨٤٦ فى كتابه إنباء الغمر « بأنه كان قارئاً للقرآن محباً فى حملته مع شرفيه وبذاءة لسان » أنظر أيضاً النجوم الزاهرة ٧ / ٢٨٦ ، والضوء اللامع ٢ / ١٠٦٠ .

(٣) هو أرغون شاه النوروزى الحافظى ، وقد يقال له « الحمودى » أيضاً ، وكان من شأنه أنه رلى الأستاذارية عدة مرات زمن الأشرف برسبى إلا أنه عمل أستاذارية السلطان بدمشق وظل بها حتى مات سنة ٨٤٠ ، راجع عنه إنباء الغمر وفيات سنة ٨٤٠ ترجمة رقم ٧ ، والضوء اللامع ٢ / ٨٢٨ ، والسهولى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، ج ٢ ص ١٣٠ .

وفي يوم الأحد السادس والعشرين من رمضان قدم نائب قلعة صفد الذي كان عصى على السلطان واتفق مع نائبها وتحصنوا في قلعة صفد ، وكان النائب أرسله ليطلب الأمان من السلطان وتسلم الأمير مقبل [الدوادار] نائب صفد قلعة صفد ، وكان معه جماعة من الترك والتركان ، فهرب بعضهم ومسك منهم قريب ثلاثين^(١) نفرأ من الترك ، فأرسلهم النائب إلى القاهرة فوصلوا يوم الأربعاء الرابع من ذى القعدة وأحضروهم بين يدي السلطان في الحوش فأمر بضربهم وقطع أيديهم ونفيهم من القاهرة فُضربوا وقطعت أيديهم ثم نفوا من القاهرة وهم مشاة ثم ركبوا بعد ذلك على الجمال بالتشاريف وشيعوهم إلى الشام ، ومات أكثرهم في الطرقات ، ثم ولي السلطان نيابة قلعة صفد للأمير أردوبغا وكان أمير عشرة بالقاهرة :

* * *

وفي يوم السبت السادس من ذى الحجة خلع على القضاى علم الدين صالح بن الشيخ سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى واستقر قاضى القضاة

(١) يجوز في قراءتها « مع ما بها » يعنى « من بها » لكن الأرجح هو ما أثبتاه بالمتن ولا عبرة بأن الفعل التالى لهذه الكلمة جاء بصيغة الجمع بدلاً من المثنى وذلك لأن المؤلف لم يكن ليراعى الدقة النحوية التامة في كتابته .

(٢) الاستفادة من رواية النجوم الزاهرة ٦ / ٥٦١ - ٥٦٢ أن ثلاثين من أصحاب إينال - نائب صفد - أرسلوا في الحديد إلى القاهرة ، فرسم السلطان بقطع أيدي تسعة وعشرين منهم ، أما الأخير فقد أمر بتوسيطه ، ثم أفرج عن قطعت أيديهم ونفوا إلى بلاد الشام مات بعضهم في الطريق خلال ترحيله .

(٣) راجع الفتوى اللامع ٣ / ١١١٩ والسيوطى : نظم المقهيات ، ص ١١٩ .

الشافعية بالديار المصرية عوضاً عن القاضي ولى الدين [أبى زرعة] بن العراق
بحكم عزله :

وفى يوم الإثنين الثامن من ذى الحجة خلع على الأمير أرغنشاه^(١)
الأستادار واستقر فى الوزارة عوضاً عن تاج الدين بن كاتب المناخات
بحكم استعفائه عنها^(٢) وادعائه أنه غرم من ماله - من حين تولى إلى يوم
عزله - أكثر من ستين ألف دينار ؛ واستقر أرغون شاه وزيراً وأستاداراً :

* * *

بقية الحوادث فى هذه السنة

منها قضية الأمير تغرى بردى نائب حلب^(٣) :

وهى أنه لما استقرّ فى حلب نائباً طغى ، وتمرد وبغى ، وأظهر الفساد
فى البلاد ، وقصد الانفراد بالمملكة التى هو فيها ، واستحققر الظاهر ططر
وصار يعكس الأمور ، فأرسل وراءه الأمير كزل نائب سلطنته الذى تسحب
من المؤيد ولم يقابل الظاهر أيضاً وطلبه وسأله أن يجىء إليه وكان هو قد

(١) هو أرغون شاه النوروزى وقد سبق التعريف به ، راجع ص ١٠ حاشية رقم ٣ .

(٢) فى الأصل « استعفائها » .

(٣) يستفاد من ترجمة تافى بك البجاسى الواردة فى الضوء اللامع ج ٣ ص ٢٦ س ١١ - ١٢
أن تغرى بردى المذكور فى المتن هو تغرى بردى من قسروه ، على أن نفس المرجع ، ج ٣ ص
٢٧ ترجمة رقم ١٣١ يشير إلى أنه مات سنة ٨١٨ وهو خطأ ، والصحيح أن تغرى بردى المؤيد
المعروف بأبى قسروه - كما جاء فى النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٧٨٥ - ٧٨٦ كانت وفاته سنة ٨٢٨ ،
الظر عنه ابن حجر : إنباء القمر ، ج ٣ ص ٣٥٣ ترجمة رقم ٤ ، وابن إياس : بدائع الزهور ج ٣
ص ١١ .

(١) وصل إلى العمق فأجاب إليه وحضر لديه ، ولما سمع الظاهر ططر بذلك أرسل إلى العساكر الشامية والخلبية أن يجتمعوا إليه ويقبضوا عليه ، فلما أحس بذلك طلب الهروب لأنه لم يقدر على الإقامة في حلب لعجزه عن مقاومة عسكرها ، فهرب وكثر معه ، وتوجه إلى مدينة هسنا ودخلا قلعتها بمن معه ، فلما سمع السلطان ططر بذلك أرسل إلى نائب حلب الذي تولى موضعه - وهو الأمير تنبك البجاسي - (٢) وأمره أن يأخذ العسكر وينزل على قلعة هسنا ويحاصرها إلى حين أخذها ، فذهب النائب بعسكره إليها وحاصرها حصاراً شديداً ، وفي أثناء الحصار مات الأمير كثر ، ولما طال الحصار عليهم استأمنوا فنزلوا بالأمان وأخذوا تغري بردى وحضروا به إلى حلب فحبس بقلعتها وتفرق شمله ، ثم تولى نيابة هسنا الأمير جربغا الذي كان دوا دار يشبك المشد نائب حلب ، وكان نزول تغري بردى من قلعة هسني في شهر صفر .

* * *

(١) ورد في مرآة الاطلاع، ج ٢ ص ٩٦٢ أن العمق كورة من نواحي حلب ، ويقال إن اسم «العمق» هو الاسم القديم لإقليم حارم ، ويقال أيضاً إنه يقع ناحية تعرف بالريحانية وهو اسم طائفة من التركان استقرت في هذه الناحية بناء على ما ذكره Burkhardt: Travels in Syria, Vol. I, p. 630 وقد حدد ابن الشحنة في كتابه : ص ١٦٦ حدود منطقة حارم ، أنظر أيضاً :

Le Strange: Palestine Under The Moslems, p. 391.

(٢) عرفها مرآة الاطلاع ، ج ١ ص ٢٣٤ بأنها « قلعة حصينة عجيبة بقرب مرعش وسميساط ورستاقها هورستاق كيسوم ، وهي من عمل حلب » .

(٣) أنظر عنه ابن حجر : إنباء القبر ، ج ٣ ص ٣٣٣ ترجمة رقم ٧ ، والسخاوي : الضوء

اللامع ١٢٥/٣ ، أنظر أيضاً Marcel: l'Egypte depuis la conquête des Arabes, p. 183; Sauvare: Description de Damas, t. II, p. 287 - 288.

(٤) وصفه الضوء اللامع ١٠ / ١٠٩٦ بأنه « كان شاباً جاهلاً فاسقاً ظالماً عسوفاً طامعاً » ، اشتراه المقييد شيخ وعمله شاد الشرهانة ، أما فيما يتعلق بنهايته فراجع ما كتبه ابن حجر في إنباء القبر ، ج ٣ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ فهو مصدر أول في هذه الأحداث .

ومنها قضية صفد وقد ذكرناها ،

* * *

ومنه قضية الصعيد ونصرة الكاشف على جماعة العربان العاصين وقتلهم :

فهذه القضايا التي انقضت كلها على هذا الوجه الذي كان يريد الملك الأشرف ويختاره ، وهو مما يدل على سعده ونصرته وتأييده :

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة من القاهرة الأمير ياقوت مقدم الممالك^(١) السلطانية ، وكان الحاج كثيراً جداً في هذه السنة حتى عدوا من الترك قريباً من خمسمائة نفس ، منهم : بمالك السلطان — بالخصوص — أربعائة نفس ، وكان أمير الركب الأول أسندمر الذي كان نائب قلعة الجبل .

* * *

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٦١٣ — القاضي بهاء الدين أحمد بن عثمان بن المناوى توفى يوم الإثنين السادس عشر من رمضان ودفن صبيحة يوم الثلاثاء في القراقة الصغرى وكان رجلاً جميلاً محتشماً قريباً من الناس ، وكان من أكبر نواب الشافعى ، ولقد بلغ الرتبة في القضاء ولوعاش لكان يتولى ، وخلف وظائف كثيرة جداً.

(١) المقصود بذلك ياقوت الأرغونشاوى الحبشى الذى صار مقسّم الممالك السلطانية أيام الظاهر برقوق ، وحج مرتين أميراً للمحمل المصرى ، أنظر إلباء الغمر ، ج ٣ ص ٥٢ ، ترجمة رقم ٥٠ ، والقصود اللامع ٩٢٢/١٠ .

٦١٤ - الشيخ بدر الدين محمود بن الشيخ أحمد^(١) الأقصراوى ، توفى يوم الإثنين الخامس من المحرم آخر النهار وصلى عليه فى المصلى التى خارج باب الوزير يوم الثلاثاء ودفن فى تربة والده بالصحراء ، وكان فاضلاً عالماً مطبوعاً كريماً رحمه الله ، وكان - رحمه الله - قد اشتهر جداً عند أرباب الدولة.^(٢)

٦١٥ - (١١٤ ب) الشيخ الفاضل العالم الصالح شمس الدين محمد الحنبلى^(٣) الحنبلى شيخ الخروبية^(٤) ، وكان اشتغل قسديماً فى دمشق وأدرك

(١) اتفق السلوك ، ورقة ١٣٤٥ ، والنجوم الزاهرة ، وإنباء الغمر ، ج ٣ ص ٢٩٥ ترجمة رقم ٣٠ على أنه « محمود بن محمد » .

(٢) حين ترجمت له النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٧٧٦ أشارت إلى أنه كان يجالس المؤيد شيخ ويناديه ، ولكن الضوء اللامع ٧٢/١٠ هـ أرجع ذلك إلى أنه كان يقرئ إبراهيم بن السلطان فى الفقه ، واكتفت شذرات الذهب ج ٧ ص ١٧٢ بالإشارة إلى مجالسته المؤيد ثم اختصاه بالملك الظاهر ، أما ابن حجر فقال عنه إنه « اتصل بالملك المؤيد فعظم قدره » ، راجع إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٢٩٥ ترجمة رقم ٣٠ .

(٣) فى الأصل « الحنبلى » ، ولكنها « الحنبلى » فى النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٧٧٧ وكذلك شذرات الذهب ج ٧ ص ١٧١ ، وإنباء الغمر ، ج ٣ ص ٢٩١ ترجمة رقم ٢١ ، وأرجعت الشذرات هذه النسبة إلى « حجة بنت ملك بن عمرو بن عوف » ، علماً بأن السخاوى قال فى الضوء اللامع ٧ / ٢٣٤ إن الاسم يرسم بصورتين : « الحنبلى » و « الحنبلى » وقال : « رأيت من أبدل الموحدة بها وقال إنه الصواب » ، واستعملت السلوك « الحنبلى » .

(٤) يقصد ابن الصير فى ذلك الخانقاة الخروبية بساحل الجيزة ، وقد ذكر المقرئى فى الخطوط ج ٣ ص ٢٢٢ أنها « كانت منظره من أعظم الدور وأحسنها ويرجع تأسيسها إلى زكى الدين أبى بكر الخروبي كبير تجار الكارم بمصر ، وقد تحولت إلى خائفاه بأمر السلطان المؤيد شيخ فى رجب سنة ٨٢٢ ، والواقع أن تحولها من منظره إلى خائفاه كان اغتصاباً وقسراً بدليل قول ابن حجر فى إنبائه ج ٣ ص ٢١٣ ، إن المؤيد قرأ الحنبلى سنة ٨٢٣ فى « مشيخة الخائفاه المستجدة بالجيزة التى انتزعت من الخروبي وكانت وقفاً على الذرية ثم على الزاوية المجاورة لها فأخفى كتاب الوقف واشترى من السلطان من الورثة بقدر حصصهم وغالبهم أشهد عليه ولم يقبض الثمن » ، ويشير المقرئى : نفس المرجع والجزء والصفحة إلى أن السلطان رتب للحنبلى فى كل يوم عشرة دراهم مؤدية سوى السكن وقرر عنده عشرة فقراء ، لكل منهم مع الخبز مؤيدى فى كل يوم « هذا ويلاحظ أن هناك المدرسة الخروبية فى نفس المنطقة لكنها من إنشاء محمد بن أحمد بن على الخروبي ، وكان بجانبها مكتب سبيل ، راجع الخطوط ج ٣ ص ٣٢٣ ، وإنباء الغمر ، ج ١ ص ٢٨٥ ترجمة رقم ٣٠ .

مشايخها وحصل طرفاً جيداً من الحديث والأخبار ، وكانت له يد طولى
فى قراءة البخارى ، وتولى عوضه فى مشيخة الخروبية الشيخ فضل الله بن
نصر الله البغدادى الحنبلى :

٦١٦ - الأمير سيدى حسن بن سودون الفقيه ، خال السلطان الصالح
محمد بن الظاهر ططر ، توفى ليلة الجمعة الثالث عشر من صفر ، وكان
ضعفه مقدار شهرين وأكثر ، ودفن بالصحرى خارج باب البرقية بالقاهرة
فى يوم الجمعة بكرة النهار ؛ وكان وصوله إلى هذه المنزلة بواسطة الظاهر
ططر فإنه كان زوج أخته بنت سودون الفقيه ، وكان أولاً فى خدمة ططر
بجامكية^(١) ، ولما تولى نظام الملك أعطاه إقطاع طبلخاناه ، ثم لما تسلطن^(٢) أعطاه
تقدمة ألف ، ولم تطل مدته حتى انتهشته المنية ، رحمه الله :

٦١٧ - الأمير آقجا الأحمدي كاشف الوجه القبلى ، توفى يوم السبت
الحادى والعشرين من المحرم ، ولم يكن مشكوراً ولايته فإنه كان يأخذ
أموال الناس غالباً بطريق العسف :

٦١٨ - السلطان كرشي ، واسمه محمد جلبي بن السلطان أبى يزيد بن مراد
بن أرخان بن عثمان جق صاحب الأوجات بأسرها وعلى بعضها ، وكرسيها مدينة
برسا ، توفى فى هذه السنة ، وخلف ولدين كبيرين فتولى عوضه الكبير منهما
واسمه مراد بك ، وهؤلاء كلهم ملوك غزاة فى سبيل الله تعالى ، رحمهم الله :

* * *

(١) الجامكية هنا هى الراتب أى أنه كان يتناول راتباً معيناً من السلطان فى بداية الأمر ، وقد أوردها
القلقشندي فى صبح الأعشى ، ج ١٣ ص ٩٩ مقرونة بكلمة « الرواتب » ثارة و « الجراية » ثارة أخرى .
(٢) يقصد بذلك الأشرف برسبلى الدقاق .
(٣) « آق عجا » فى السلوك ، ورقة ٣٥٣ ب ، وكذلك فى النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٧٧ ،
والضوء اللامع ١٠٢/٢ .

فصل

فيما وقع من الحوادث

في السنة السادسة والعشرين بعد الثمان مائة

استهلت هذه السنة المباركة وأولها يوم الأربعاء^(١) ، وخليفة الوقت المعتضد بالله داود العباسي ، وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الأشرف برسبای ، والأمير الكبير أتابك العساكر المصرية الأمير بيغ المظفری ، وأمير سلاح هو الأمير قجق العيساوي ، وأمير مجلس الأمير آقبا التمرازی ، وحاجب الحجاب الأمير جقمق أتحى المصارع ، والدوادر الكبير سودون من عبد الرحمن ، وأمير آخور كبير الأمير خسرو^(٢) ، ورأس فوبة كبير الأمير أزيلك^(٣) ، وأستادار العالية الأمير أرغون شاه الشاوي ، وأضيفت إليه الوزارة أيضاً في أواخر السنة الخالية عوضاً عن تاج الدين بن كاتب المناخات ، وكاتب السر علم الدين داود بن الكويز^(٤) ، وناظر الخيش زين الدين عبد الباسط :

(١) الوارد في التوفيقات الإلهامية ص ٤١٣ أن أول هذه السنة هو يوم الثلاثاء ١٩ كيهك سنة ١١٣٩ ويوافق ١٥ ديسمبر ١٤٢٢ .

(٢) هو في المراجع الأخرى « قصرود من تمرز » ، راجع ص ١٢ حاشية رقم ٣ .

(٣) انظر عنه ابن حجر ج ٣ ص ٤٤٣ رقم ٩ ، وابن لياس : بدائع الزهور ، ج ٢ ص ١٦ .

(٤) في الأصل « كوز » ، انظر ابن حجر : إنباء النرج ج ٣ ص ٣١٣ ترجمة رقم ٩ ، والحاشية

رقم ٢ هـ ، وكذلك Wiet: Les Secretaires de la chancellerie en Egypte sous les Mamlouks Circassiens No. XIII.

ونائب الإسكندرية الأمير أسندمرا النورى ، ونائب غزة الأمير
(١) يونس الأعور ، ونائب صفد الأمير مقبل ، ونائب دمشق الأمير تنبك ميق ،
ونائب حماة الأمير جارقطلو ، ونائب حلب الأمير تنبك البجاسى .

وصاحب بلاد قرمان الأمير محمد باك ، والسلطان فى بلاد آجات -
وكرسيها برسا - مراد بك بن السلطان كرشجى واسمه محمد جلبي ، والحاكم
فى تبريز وبلادها وما والاها الأمير إسكندر (٢) بن الأمير قسرا يوسف
ابن الأمير قسرا محمد ، والحاكم فى بغداد الأمير محمد شاه بن الأمير قسرا
يوسف بن الأمير قسرا محمد ، والحاكم فى بلاد خراسان وهرات وبلخ
وهمرقتند وما والاها شاه رخ بن تمرلنك ، وصاحب بلاد الدست - وكرسيها -
سراى - السلطان محمد خان من ذرية جنكيز خان .

وصاحب اليمن الملك الناصر بن الملك الأشرف ، وصاحب مكة شرفها
الله تعالى حسن بن عجلان ، وصاحب المدينة النبوية على صاحبها أفضل
الصلاة والسلام عجلان بن نعيم الحسينى .

* * *

ذكر من أنعم عليه بإمرة أو إقطاع أو وظيفة

لمساكن يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من المحرم خلع على زين الدين قاسم
(٣) ابن قاضى القضاة جلال الدين عبدالرحمن بن البلقينى واستقرناظرا على الجوالى
بالديار المصرية عوضاً عن القاضى صدر الدين أحمد بن العجمى بحكم عزله .

(١) هويونس الركنى يبرس بن أخت الظاهر برقوق ، وقد تقلبت به الأسوال فى عهود السلاطين
حتى أخرج جقمق إقطاعه وأقامه بطالا بدمشق ؛ وبها كانت وفاته سنة ٨٥١ .

(٢) انظر ابن حجر : إنباء النمر ، وفهات سنة ٨٤١ ترجمة رقم ٧ والخواص الواردة هناك ،
وكذلك الضوء اللامع ٢ / ٨٨٥ .

(٣) انظر عنه الضوء اللامع ٦ / ٦٢٠ .

(٤) انظر ماسبق ص ١٠ حاشية رقم ١ ، وإنباء النمر ج ٣ ص ٤٤٢ ، والنجوم الزاهرة ج ٦
ص ٨١٦ ، والضوء اللامع ٢ / ٦٢٤ .

وفي الرابع عشر من صفر خلع على الأمير خسرو - أمير آخور كبير - واستقر في نيابة طرابلس عوضاً عن الأمير إينال النوروزي بحكم انتقاله إلى مصر واستقراره على إقطاع خسرو المذكور .

وفي أوائل جمادى الأولى تولى نيابة الكرك الأمير أركاس عوضاً عن الأمير شاهين بحكم وفاته إلى رحمة الله تعالى ثم عزل، وتولى الأمير عرب شاه التركماني ، وكان أصله من جعبر .

وفي يوم الإثنين الخامس من جمادى الأولى خلع على الأمير جقمق - حاجب الحجاب بالديار المصرية - واستقر أمير آخور كبيراً بالديار المصرية عوضاً عن خسرو بحكم انتقاله إلى نيابة طرابلس .

وفي هذا الشهر (١١١٥) عزل الأمير يونس الأعور من نيابة غزة لكثرة المرافعة ونفى إلى القدس الشريف بطالا ، وتولى غزة نائب قلعة الروم المسمى تراز ، وأرسل إليه المقام الشريف قاصداً بسبب ذلك .

وفي يوم الإثنين الثاني والعشرين من شهر شعبان خلع على الأمير شرباش قاشق^(٢) واستقر حاجب الحجاب بالديار المصرية عوضاً عن جقمق أنخى جركس المصارع بحكم استقراره في الإمرة الآخورية الكبرى كما قدمناه .

* * *

(١) كان إينال النوروزي هذا زوج بنت أبي المحاسن المؤرخ صاحب النجوم الزاهرة ، انظر عنه نفس المرجع ج ٦ ص ٥٦٣ ، ٨٤٠٤ ، وإليه الفهر ، ج ٣ ص ٣٧٥ ، ترجمة رقم ٣ ، وراجع Sobernheim : Op. cit. 64.

(٢) وتسميه بعض المراجع المعاصرة له إذ ذاك « جرباش عاشق » ، انظر في ذلك الفهر اللامع ٢٧٠ / ٣ وراجع أيضا النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٦٥ .

وفي العشر الأخير من شهر رمضان عين السلطان الأمير تنبك البجاسي نائب حلب لنيابة دمشق عوضاً عن الأمير تنبك ميق بحكم وفاته وتوجه إليه بالتقليد الأمير جانبك^(١) [الأشرفي] الخازندار مملوك المقسام الشريف ، وعين الأمير جار قطلو - نائب حماة - لنيابة حلب عوضاً عن الأمير تنبك البجاسي بحكم انتقاله إلى نيابة دمشق ، وتوجه بتقليده الأمير قطج^(٢) رأس نوبة ثاني ، وعين لنيابة حماة الأمير جلبان الأرغونشاوي أحد الأمراء المقدمين بالشام ، وتوجه بتقليده خشكلكدي الخاصكي^(٣) :

وفي يوم الخميس العاشر من شهر شوال خلع على القاضي جمال الدين يوسف ناظر الجيش بطرابلس وكان قد قدم إلى القاهرة واستقر كاتب

(١) لاكتفى من ترجموا له بذكر اسمه هكذا « جانبك الأشرفي برسبای » وأولهم أبو المحاسن في المنهل الصافي ، ويلاحظ أنه هو الأمير الذي أرسله السلطان برسبای في سنة ٨٢٦ إلى الشام لتقليد التواب وكانت سنة إذ ذاك تقرب من العشرين عاماً ، لكنه كان شديد التمكن من أستاذه وبلغ من شدة تمكنه منه أن راح يبيع الوظائف ، والظاهر أنه أراد أن يبيع وظيفة القضاء لابن حجر الذي رفض ذلك وقال بيتين سخر فيهما منه :

الدوادار قال لي أنا أقضى ما ربك
قم زن المال ، قلت : لا حفظ الله « جانبك »

انظر النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٧١ والضموم اللامع ٣ / ٢١٦ وعلى مبارك : الخطط التوفيقية ج ٣ ص ٣٦ ، و Van Mehren: Melanges Asiatiques, t. VI, p. 325; Berchem: Materiaux pour un corpus inscriptionum arabicarum, Egypte, t. I p. 362.

(٢) لعله قطج من تمرأز الظاهري ، ولم يرد في المنهل الصافي سوى واحد اسمه « قطج » هو هذا ، لكن ليس في الوظائف التي تولاها ما يشير إلى أنه كان رأس نوبة ثانياً ، راجع : Wiet; Les Biographies du Manhal Safi, No. 1863.

(٣) الأرجح أنه هو خشكلكدي من سيدى بك الناصري فرج المعروف بالحقمق جقمق الأرغونشاوي ، فقد ورد في وظائفه أنه كان خاصكيا وإن لم يحدد متى كان ذلك ولكنه كان بعد اتصاله بالأشرف برسبای ، ولم تعرف كذلك سنة وفاته بل وجه الدقة ولكنها كانت على أية حال بعد سنة ٨٤٥ ، انظر الضموم اللامع ٣ / ٦٨٩ :

(٤) في الأصل « عبدالله » لكن راجع النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٦٧ حيث ذكر أنه جمال الدين يوسف ابن الصفي الكركي ، وأشار إلى أن استقراره في نظارة الجيش كان بعد علم الدين بن الكورز كآمن الأشرف برسبای ولاه كتابة السر الشريف فعيب ذلك على السلطان لعدم باع الكركي فيها وقلة بضاعته في العربية .

السر الشريف بالديار المصرية عوضاً عن القاضي علم الدين داود بن الكويز بحكم وفاته :

وفي منتصف شهر شوال استقر الأمير آقبا التمرأزي^(١) في نيابة إسكندرية وكان قد توجه إليها يوم الأحد التاسع من رمضان ومعه جماعة من المماليك السلطانية بسبب إشاعة حركة الفرنج في البحر المالح، وأرسل إليه خلعة النيابة عوضاً عن الأمير أسندير النوري بحكم عزله لأمر غير مرضية^(٢) صدرت عنه ، وطلب إلى القاهرة فلما حضر رسم بنفيه إلى دمياط بطالا.

وفي يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شهر شوال طلب المقام الشريف القاضي بدر الدين العيني وسأله في استقراره ناظراً على أوقاف السادة الأشراف عوضاً عن شرف الدين عبد الوهاب بن نصر الله بحكم توجيهه إلى الحجاز فامتنع من ذلك ، فلما أصبح خلع على بدر الدين حسن — ولد السيد على نقيب الأشراف — واستقر في الوظيفة المذكورة على عادة أبيه ، وكان سبب الوظيفة خروجها^(٣) عن الأمير فخر الدين بن أبي الفرج وكان بعد عزله ولها ثم بعد وفاته ولها ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر — كان — الحموى ، ومن بعد وفاته استقر شرف الدين المذكور .

(١) هو الأمير آقبا الملائى التمرأزي الذى ولاه برسبى نيابة الإسكندرية مع استمراره على الإقطاع السابق .
(٢) أخذ برسبى على أسندير النورى ما اتهم به عنده من أنه أهمل في أمر جانبك الصوفى مما يسر له الهروب من سجن الإسكندرية ، ومع أن جانبك كان مصدر قلق وخوف للسلطان إلا أنه لم يعاقب أسندير بما يكافيه هذا التفريط ، وسبب ذلك — كما شرحه أبو المحاسن في النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٦٩ — أن «أسندير كان من أغوات برسبى ومن أكابر انبيات جركس القاسمى المصارع» .
(٣) في الأصل «تاج» الدين ، ولكنها هكذا في السلوك حيث قال : «شرف الدين محمد ابن عبد الوهاب بن نصر الله» وكذلك سيمون المؤلف بعد قليل ، ص ٢٢٠ ، من : إلى تسميته «بشرف الدين» .
(٤) في الأصل «خروج عنه» ،

وفي يوم الإثنين الثامن والعشرين من شهر شوال خلع على القاضي صدر الدين أحمد بن القاضي جمال الدين محمود العجمي واستقر في نظر الكسوة ونظر الجوالى بالديار المصرية . وفي نظر الكسوة عوضاً عن شرف الدين ابن تاج الدين المذكور ، وفي نظر الجوالى عوضاً عن زين الدين قاسم البلقيني بحكم عزله .

وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين منه خلع على الأمير ناصر الدين المعروف بابن أبي والى القدسي الذي كان أستاذار الأمير جقمق نائب دمشق ثم أستاذار الأمير تنبك ميسق نائب دمشق أيضاً واستقر أستاذار العالية عوضاً عن أرغون شاه الشامي بحكم عزله ومسكه .

وخلع أيضاً على القاضي كريم الدين بن تاج الدين بن كاتب المناخات . واستقر وزيراً بالديار المصرية عوضاً عن الأمير أرغناشاه المذكور ، وخلع على الأمير لينال النوروزي — الذي قدم من طرابلس في التاريخ الذي ذكرناه — واستقر أمير مجلس عوضاً عن آقبا التمازي بحكم استقراره في نيابة إسكندرية .

وفي أواخر شوال استقر الأمير قرقمانس^(٢) الدوادار الثاني بالديار المصرية في مقدمة ألف بالديار المصرية ، وخرجت وظيفة الدوادار عنه .

* * *

(١) أشارت النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٦٩ - ٥٧٠ والسلوك ، ورقة ٣٥٧ ب ، إلى أن اسمه هو « محمد بن محمد بن موسى المرادوى المعروف بابن بولى » بضم الهاء وفتح الواو ، ولكن العامة تسميه « ابن أبي والى » .

(٢) المقصود بذلك قرقمانس الشمعاني الظاهري برقوق المعروف بقرقمانس أهرام ضاغ أى « جبل الأهرام » وذلك لما طبع عليه من التكبر ، أنظر البصوة اللاع ٦ / ٧٢٩ والسخاوى : التبر المسبوك ، ص ١٣٩ ، وابن لياس : بدائع الزهور ، ج ٢ ص ٢٤ - ٢٧ ، ٣٥ .

ذكر الأسعار في هذه السنة

المباركة بالقاهرة

في شهر صفر منها نزلت أسعار الحبوب جداً فبيع الإردب من القمح النقي من الغلة بتسعين درهماً فلوساً جدداً ، وهى الدراهم النقرة أربعة دراهم ونصف درهم أشرفية ، وما دون ذلك بثمانين وسبعين وستين .

والإردب من الشعير بخمسة وستين وستين ، والإردب من الفول بخمسة وسبعين وسبعين ، والبطلة الدقيق التى هى خمسون رطلاً بخمسة وثلاثين درهماً [١١٥ ب] فلوساً ، والخبز : الرطل وثلث رطل من الخبز بدرهم فلوس جدد ، والرطل من الحب المقلّى بتسعة دراهم بالفلوس ، ولكن سعر اللحم كان متحسناً جداً لعدم الأغنام فوصل الرطل من السليخ إلى ثمانية ، ومن السميط إلى سبعة ، ومن البقرى إلى خمسة دراهم فلوس ، وكذلك السيرج كان متحسناً فأبيع الرطل منه بثلاثة عشر درهماً بالفلوس : وفي أوائل شوال زاد سعره فوصل إلى ستة عشر ولكنه رخص بعد ذلك جداً في شهر ذى القعدة فأبيع الرطل بثمانية وتسعة ، وبيع الإردب من الشعير في شوال وذى القعدة بستين درهماً ، ومن الفول بسبعين درهماً ، وتحسن السعر فأبيع الإردب من القمح بمائة وخمسين درهماً ، وما دونه بمائة وأربعين وثلاثين وعشرين ، وأما التبن فكان عزيزاً ، ووصل الحمل إلى سبعين درهماً :

• • •

وفي هذه السنة قلت الفلوس الجدد جداً وسبب ذلك نقلها في البحر إلى بلاد اليمن وسببها في المعامل أواني ومهوناً وكوباً وغير ذلك ، فلما

(١) أى أن السركان مرتفعاً جداً .

بلغ السلطان ذلك برز المرسوم الشريف بالنداء عليها بتسعة دراهم كل رطل وكان بستة ، وأبطل الفلوس العتق وكانت بخمسة الرطل فنودي عليها بأربعة ، وحصل للناس الضرر الزائد بسبب قلة الفلوس الجدد ، فنادى السلطان بين الناس أن يكون الرطل منها بسبعة حتى تكثر بين أيدي الناس ، ولم يفد ذلك شيئاً :

وأما الفضة فصارت في المعاملة من أنواع الدراهم : «ويدية وصالحية وأشرافية وقرمانية وعثمانية وحجازية وتكرورية وبنديقية ، فعند ذلك رسم السلطان ألا يتعامل إلا بالدراهم المصكوكة بالديار المصرية والشامية ، وتبطل ما سوى ذلك ، خلا الدراهم التكرورية :

وأما أسعار القماش والفراء بأنواعها فكانت غالية جداً :

* * *

ذكر بقية الحوادث

ففي يوم الإثنين السادس والعشرين من صفر قدم الأمير إينال النوروزي نائب طرابلس إلى خدمة السلطان واستقر في القاهرة أميراً على ما قدمنا على إقطاع الأمير خسرو ونزل في الدار التي تقابل الكيش^(١) على بركة الفيصل :

* * *

(١) الكيش من مناطق القاهرة وتقع على ما يعرف بجبل يشكر الذي كان يعد من المناطق الطيبة فيها ، إذ تقع تجاهه بركة كبيرة كانت تعرف في القرن التاسع الهجري ببركة قارون ويشرف عليها ما يسمى بمنظر الكيش بجوار جامع ابن طولون ، ومنها يستطيع الإنسان « أن يرى بابي زويلة والقاهرة وباب مصر ومدينة مصر وقلعة الروضة وجزيرة الروضة وبحر النيل الأعظم وبرابلية ، فكانت من أجل المنزهات » ، انظر المقرئ : الخطط ، ج ٢ ، ص ٥٢٩ وما يليها .

وفي يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ربيع الأول آخر النهار جاءت ريح حمراء فطبق وجه السماء بحيث أظلمت الدنيا وكأنها الليل ، ولم تزل الريح تهب إلى آخر الليلة التي صبيحتها يوم الأربعاء ، وكان مجيئها من ناحية بلاد برقاً ووصلت إلى بلاد الصعيد وإلى الصالحية من الشرق وأتلفت شيئاً كثيراً من الزرع ، وظنت الناس في ذلك اليوم أنه ابتداء أيام القيامة ، وحصل لهم هلع وجزع ورعب شديد .

* * *

وفي يوم الخميس السادس والعشرين من ربيع الآخر قدم إلى القاهرة الأمير تنبك البجاسى نائب حلب ونزل في بيت الأمير نوروز في الرملة وكان السلطان قد جهز الأمراء لملاقاته وتعظيمه وبالغ في ذلك وأرسل إليه أمير أستاذار الصحبة بالمطابخ وغير ذلك من أنواع الحلوات والسكر ، وأقام في القاهرة إلى أن سافر يوم الخميس الثالث من جمادى الأولى مستمراً على نيابته .^(٣)

ومن الحوادث وقوع الفناء العظيم في البلاد الحلبية والشامية ، وكان ابتداءه من حلب وبلادها ، ومات منها خلق كثير معظمهم من الأطفال^(٤)

(١) يوجد بالديار المصرية ستة أماكن يعرف كل منها بالصالحية ، أنظر في ذلك فهرس القاموس الجغرافى ، مادة « الصالحية » ، هل أن الصيرفى يقصد بالصالحية هنا البلدة الواقعة في محافظ الشرقية الحالية والتي تعرف اليوم باسم « الصالحية الكبرى » وهى منسوبة إلى منشأ الملك الصالح نجم الدين أيوب فقد أسسها سنة ٦٤٤ هـ لتكون منزلة للمساكن عند ذهابهم إلى الشام وعودتهم منها ، أنظر القاموس الجغرافى ، ق ٢ ج ١ ص ١١٢ - ١١٣ ، أما إشارة الصيرفى إلى الصالحية فتحمل معنى قوة هذه الريح واكتساحها معظم الدنيا حتى بلغت هذه الناحية البعيدة عن برقة .

(٢) أى لملاقاة الأمير تنبك البجاسى .

(٣) أى في حلب .

(٤) ربما كان ضمير المؤنث هنا عائداً على حلب وبلادها .

وفي يوم الخميس السابع والعشرين من شعبان حضر جماعة كثيرون وفيهم شخص كبير يسمى عمر بضمين من بلاد ابن عثمان وكانوا قد خرجوا من بلادهم لقصد (١١٦) الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، فلما وصلوا دمشق قويت مهمتهم على دخول مصر للتمثل بين يدي السلطان والتوجه منها إلى مكة المشرفة، فلما بلغ السلطان حضورهم أمر الحجاب فاستقبلوهم وأنزلوهم بالميسدان الكبير^(١)، وجهاز لإيهم السلطان شماغاً عظيماً، ثم رسم لهم بمراتب جارية عليهم قدر كفايتهم من اللحم والحياش والسكر والحلوى والشمع ونحو ذلك، فأقاموا إلى أيام سفر الحجاج فسافروا معهم وكانوا أحضروا معهم للسلطان مقدمة من عند ابن عثمان صاحب برسا فقدموها إليه، وقدم هو أيضاً لابن عثمان أشياء من عنده. وفي يوم الاثنين الثاني من رمضان كانت خدمة الإيوان بسبب همة لاء المذكورين:

وفي هذا اليوم كُسر الخليج فنزل إليه الأمير بيغا المظفرى أتاكك العساكر.

وفي يوم الأحد مستهل شهر رمضان أمر السلطان بنقى الأمير^(٢) سودون الأشقر إلى القدس بطالاً ثم وقعت فيه الشفاعة ورسم له بالتوجه إلى دمشق على إمرة مقدمة ألف.

(١) المقصود بذلك ما يعرف بالميدان السلطاني وهو من إنشاء الملك الصالح نجم الدين أيوب بأرض اللوق من القاهرة وكان يصل بينه وبين الخليج قنطرة.

(٢) في الأصل «الثالث»، وقد صححناها إلى «الثاني» بناء على ما جاء في نفس الصفحة هنا ص ١٣، ص ٢٩، ص ١، وكذلك ما ورد في التوقيعات الإلهامية ص ١٣ من إن أول رمضان هو الأحد.

(٣) هو سودون الظاهري برقوق وقد عرف بالأشقر تمييزاً له عن سودون آخر بنفس الإبهام والنسبة ولكنه سودون الجلب. هذا وقد ترقى سودون الأشقر هذا أيام الناصر فرج فبلغ المقدمة وشهد الفريخاناه، ثم صار رأس نوبة النوب زمن المريد شيخ، وقد نفاه الأشرف برسبى إلى دمشق فبقى بها حتى مات سنة ٨٢٧. انظر في ذلك لنبأ الفهر، ج ٣ ص ٣٢٥، والفهر اللايع Wiet: op. cit. No 1130 ١٠٦٩/٢

وفي يوم السبت سابع رمضان توجه الأمير صبرغتمش رأس نوبة
أحد الأمراء الطبلخانات ومعه مائة مملوك من المماليك السلطانية إلى دمياط
المحروسة لأجل إشاعة حركة الفرنج .

وفي يوم الأحد ثامن رمضان توجه الأمير آقبا التمرأزي إلى إسكندرية
كما ذكرنا .

* * *

وفي يوم السبت الثالث عشر من شوال قدم ثقل نائب دمشق الأمير
تنبك ميق وجميع موجوده من الذهب والفضة والقماش والخيل والجمال
والمماليك ، وحضر أيضاً قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن القاضي يحيى
ابن الكشك قاضى الحنفية بدمشق مطلوباً .^(٢)

وفي يوم السبت التاسع عشر من شهر شوال خرج المحمل الشريف^(٣)
من القاهرة .

* * *

وفي يوم الأحد السابع والعشرين منه قبض على الأمير أرغون شاه
الأستادار والوزير وعوق في البرج بقلعة الجبل ، وسيبه تأخير الحمامكية

(١) أشار السخاوى في ضوئه ٣ / ١٢٣٥ إلى أن الصواب في أسم صرغتمش هو « صليغ أطمش »
يضم الصاد وسكون اللام وفتح الغين المعجمة ومعناه « الرمي على اليسار » ، ولم أستطع تحديد صرغتمش
هذا المقصود في المتن ، على أن الوارد في النجوم الزاهرة ، ح ٦ ص ٦٧ هو أنه لما سمع الأشرف
برسبای بخبر قدوم الفرنج ثذب عدة أمراء إلى السواحل لدفعهم عن البلاد ، وأن الذى توجه معهم إلى
الإسكندرية هو آقبا ، لكنه لم يشر إلى خروج الجماعة إلى ثمر دمياط .

(٢) ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢١٢ - ٢١٤ .

(٣) وكان ذلك بصحبة الطواشى الحاج افتخار الدين ياقوت الأرغون شاوى الحبشى مقدم المماليك
السلطانية .

واظهار العجز ، وتكلم في حقه أنه أخذ أموالاً جمة في سرحاته إلى البحيرة والغربية والجنات القبلية ، وأنه أخذ جميع هذه الأموال فجهزها إلى دمشق وضرب ضرباً مؤلماً ، ثم بعد أيام يسيرة وقعت فيه الشفاعة بعد أن قرر عليه مال كثير من الذهب ونزل إلى بيته .

وفي يوم الأربعاء سلخ شوال قدم أخو السلطان من بلاد جركس فرسم السلطان أن يجهز إليه قماشاً وخيلاً ومطبخاً مكلاً ولاقاه بعض الأمراء والمماليك .

ذكر ما وقع من الأمور في البلاد

منها :

أن محمد باك بن علاء الدين بن قرمان — صاحب قونية ولارنده وما والاها — لما خلص من الحبس في القاهرة في أيام الملك الظاهر ططر

(١) في الأصل « أخى » ، والمقصود بذلك يشيك أخو الأشرف برسبى ولم يكن حضوره هو وحده وإنما قدم معه — كما جاء في النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٧١ — إخوة السلطان وأقاربه من بلاد جركس ، أما يشيك هذا فأسن من أخيه السلطان برسبى الذى أنعم عليه بإمرة طباخانة حين مجيئه إلى مصر ، وقد مات يشيك مطمولاً سنة ٨٣٣ ، أنظر لبهاء النمر ، ج ٣ ص ٥٣ ، ترجمة رقم ٥٣ ، والضوء للامع ١٠ / ١١٠١ .

(٢) ضبطها مرصداً للاطلاع ، ج ٣ ص ١١٣٤ يضم القاف وسكون الواو والنون بعدها ياء مفتوحة ، وقال إنها من أعظم مدن المسلمين بالروم وأنها أحد مكانين يسكنهما ملوكهم ، وهى تعرف عند الغربيين باسم (Iconium) ، ثم اتخذها سلاجقة الروم عاصمة لهم بعد أن تم لهم فتحها سنة ١٠٨٤ م (= ٤٧٧ هـ) على أنه يقال إن فردريك بربروسة انتزعها منهم بعد قرن من الزمان ، سنة ٥٨٦ هـ (= ١١٩٠ م) ، ثم أخذت في التدهور وكانت تكبها قلعة تعرف بقلعة قره حصار ، راجع في ذلك كله لسترايج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٧٢ ، ١٨١ ، أما لارنده فكانت عاصمة إمارة قرمان ، وقد وصفها ابن بطوطة في القرن الثامن الهجرى بمبارة لقلها لسترايج في نفس المرجع ، ص ١٨٠ ، وذكر أنها « كثيرة المياه والبساتين » .

على ما قدمنا وذهب إلى بلاده في البحر المسالح شرع في استرجاع البلاد التي أخذها ابن عثمان منه ، ومن ذلك أنه توجه إلى مدينة أنطاكية التي على البحر المسالح ونزل بها يحاصرها ، واتفق أنه ركب يوماً من الأيام وتوجه إلى قريب السور لينظر إلى الجماعة الذين بهرأ فرموه بحجر من أحجار المكحلة^(١) فمات منه وتفرق شمله وتشتت عسكره ، فتولى عوضه في بلاده ولد الأمير إبراهيم باك - وهو أكبر أولاده - فهرب منه عمه الأمير علياك ، وكان محمد باك رجلاً كريماً نخباً ملازماً للصلاة والتسبيح والتهجد لا يقتناول المسكر ولا يقول باللواط ولا بالزنا ، وإنما كان يتناول المعاجين المفرحة ، وكان يكرم أهل العلم إكراماً بليغاً ويتفقد أحوالهم ويقف عند أقوالهم ، ولكنه فيه عيب شديد هو أنه كان يأخذ « البريم » وهو الجباية من الناس في كل جمعة وكل شهر ، وكان له أعوان يجمعون له ذلك من أهل بلاده ولا يترك منه شيئاً ، فلذلك كانت الرعية يحبون أخاه علياك أكثر منه ، فإنه قطع عنهم ذلك لما تولى بلاد أخيه لما مسكه الأمير ناصر الدين محمد ابن ذلغادر صاحب أبلستين وأرسله إلى مصر ، وقد ذكرنا أن الملك المؤيد رحمه الله قد أرسل معه عسكراً عظيماً ومع ولده سيدى إبراهيم فتولى بلاد قرمان نيابة عن السلطان المؤيد ، وتقدم بيان أحواله مفصلاً .

* * *

(١) في الإصل « الكحلة » .

(٢) في الإصل « سعى » .

ومنها أن الأمير مراد بك بن كرشجي - واسمه محمد بك بن عثمان صاحب برسا والاجات - قتل أخاه الأمير مصطفي بك وكان في ذلك البر من البحر ، ثم إنه نزل على قسطنطينية وجاءت الأخبار بذلك إلى القاهرة : ومنها أن صاحب مكة الشريف حسن الحسيني لم قابيل أمير الركب ولاحج في هذه السنة خوفا من كثرة الأتراك أن يمسكوه ولو قابله لفعلا به ذلك لأجل كثرة ظلمه للناس لا سيما التجار وأخذ أموالهم عسفاً وكثرة فساد حاشيته وعبيده :

* * *

ومنها أن الحجاج لما عادوا من مكة ووصلوا إلى مدينة ينبع ركب من الترك جماعة كثيرة خلف مقبل صاحب ينبع فإنه قد خامر على السلطان ، وكان السلطان عزله وولى عوضه عاقل ، فلما وصلوا إليه وقع بينه وبينهم [١١٦ ب] قتال عظيم ، وآخر ذلك أنه انكسر وهرب ، فذهب الترك موجوده ومسكوا حاشيته ، ولما أفصلوه واستقروا في ينبع وتقرر بها عاقل على ولايته ، وتأخر هناك الأمير قرقماش الشعباني لأجل النظر في أمر مكة المشرفة أرسل يسأل السلطان في نجدة يتوجه بها إلى مكة ليأخذها ويريح المسلمين من حسن بن عجلان .

* * *

-
- (١) أي على هذا الساحل من البحر .
 (٢) راجع عنه الضوء اللامع ٢ / ٤١٧ .
 (٣) عبارة « لم قابيل » تمييز مصري عامي بمعنى « لم يقابل » .
 (٤) هو مقبل بن نخباز المتوفى سنة ٨٣٠ بحبس الإسكندرية وكان قد حل إليه في سنة ٨٢٨ ، راجع التاجم الزاهرة ج ٦ ص ٥٨٨ ، إنباء الغمر ج ٣ ص ٢٩٧-٢٩٨ والضوء اللامع ٣ / ٦٩٣ .
 (٥) أي « فصلوه » .

وفيها بلغ النيل إلى إصبعين من عشرين فكل بسبعة عشر ذراعاً ورويت
البلاد واطمأنت العباد ، وما خلا موضع من الرى إلا ما شرق من جهة
الحسور .

* * *

وفيها حج بالناس من القاهرة بالركب المصرى الأمير ياقوت مقدم
الممالك السلطانية ، وكان أمير الركب الأول الأمير لينسال الششمانى^(١)
أمير طبلخانة وأحد رموس النوب ، وحج بالركب الشامى الأمير برسبى^(٢)
حاجب الحجاب بدمشق . وحج في هذه السنة من مصر من الأمراء المقدمين
ثلاثة وهم : الأمراء قجق أمير سلاح والأمير أركناس الظاهري والأمير^(٣)
قرقماس ؛ ومن الأمراء العشرات الأمير شيخ أحمد رموس النوب^(٤)
والأمير قنصوه النوروزي ؛ وأما من الممالك السلطانية فعدة كبيرة إلى
الغاية ؛ وأما من غيرهم من الناس فخلق كثيرون .

(١) وكانت وفاته سنة ٨٥١ ، وقد أجل أبو الحسن شق الوظائف التي تقلدها من أمير عشرة
إلى محتسب فأمر طبلخانة فرأس نوبة فنانب صمد فأمر مائة فقدم ألف فأتاك دمشق ، انظر أيضا
النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٣١٢ .

(٢) المقصود بذلك برسبى من خترة الناصري فرج ، وكان من انتهى إلى نوروز الحافظي وخبرج
معه ضد المؤيد شيخ الذي حبسه ثم أطلقه في أخريات أيامه ، ثم لما تولى السلطنة الأشرف برسبى ولاء
حجوية الحجاب بدمشق ، وكان موته سنة ٨٥١ هـ ، راجع عنه السخاوي : التبر المسهوك ، ص ١٧٦
١٨٧ ، وانظر أيضا Van Sobernheim : Materlaux . . . , pp. 66 - 68 ; Berchem : op. cit., Egypte, t. I, p. 225.

(٣) انظر عنه الضوء اللامع ، وابن لياس : بدائع الزهور ، ج ٢ ص ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ،
Melange de la Faculté des Beyrouth, t. I, p. 353.

(٤) الأرجح أنه هو شيخ الحسن الظاهري برقوق المعروف بشيخ المجنون ، فقد ورد في ترجمته -
دون بقية تراجم من يسمون بشيخ في الضوء اللامع ، ج ٣ ص ٣٠٧ - ٣١٠ وهم سبعة أشخاص -
أنه كان من رموس النوب مما يتفق مع ما ورد في المتن أعلاه ، وكان تركي الجنس طائفاً جاهلاً ومات
سنة ٨٣٠ أو التي بعدها في حلب .

وحج أيضاً في هذه السنة القاضي زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش^(١)
المنصورة واستناب عوضه في الجيش القاضي بدر الدين بن مزهر^(٢).

* * *

ذكر من توفي فيها من الأعيان

٦١٩ - قاضي القضاة الشيخ الإمام العالم المحدث الفقيه ولي الدين أحمد
ابن الشيخ الإمام العلامة شيخ المحدثين ومفيد الطالبين زين الدين عبد الرحيم
الشافعي الشهير بابن العراقي ، كان رحمه الله رجلاً عالمياً فاضلاً ، له تصانيف
في الأصول والفروع وفي شرح الأحاديث النبوية ، وله يد طول في الفتيا ،
وقال الحافظ بدر الدين العيني رحمه الله في تاريخه : « كان آخر الأئمة
الشافعية في الديار المصرية » ناب في الحكم عن القضاة الشافعية مدة طويلة ،
مع عفة وديانة وصلاح ، ثم ترك النيابة واستمر يشغل بالدروس والتصانيف ،
ثم تولى القضاء عوضاً عن قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقيني
بحكم وفاته وذلك يوم الإثنين السادس عشر من شهر شوال من سنة أربع

(١) هو عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم - في قول - ويعقوب في قول آخر ، وقد أشار الفوه
اللامع ٨١/٣ إلى أنه لما استقر الأشراف برسي في السلطنة أخذ عبد الباسط في التقرب إليه بالتقادم
والتحف وفتح له أبواباً في جمع المال وأنشأ العائز فراد اختصاصه به ؛ وقد جمع صاحب الترجمة
بين الوزارة والستادارية ، إلا أنه لم يمدد على يد جقمق فيما بعد ؛ وقد أشارت النجوم الزاهرة ،
ج ٦ ص ٣٠١ إلى أنه استولى على القيسارية التي كان دمر دأش شرع في بنائها ثم أكلها هو وجعل بأعلاها
وبما وكالت تعرف في زمن أبي المحسن بسوق الباسطية ، وقد شغل الزين هذا فترة من تاريخ هذه الحقبة
حتى زمن السلطان جقمق ، انظر عنه السهمودي : خلاصة الوفا ، طبعة بولاق ١٢٨٥ ،
ص ١٨٠ وتاريخ مكة (طبعة فستلند) لبيز ج ١٨٥٧ ، ج ٢ ص ١١٧ ، ج ٣ ص ٢١٢ ، ٢١٤ ،
وعلى مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ٣ ص ٢٦ ، ج ٥ ص ٤٤ - ٤٥ ، Van Berchem :
Materiaux... Egypte, t. I, pp. 345, 350.

(٢) هو محمد بن محمد بن أحمد بن مزهر الدمشقي كاتب السر المتوفى سنة ٨٢٢ ، راجع عنه
إليه القمر ، ج ٣ ص ٤٣١ ترجمة رقم ٢٣ ، والنجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٠٧ .

وعشرين وثمانى مائة ، واستمر قاضيا إلى أن. عزل يوم السبت السادس من ذى الحجة سنة خمس وعشرين وثمانى مائة بالقاضى علم الدين صالح بن عمر بن رسلان البلقينى ، ولم يزل بعد ذلك متعللا متخللا بالصحة والمرض إلى أن مات رحمه الله تعالى يوم الخميس السابع والعشرين من شعبان من هذه السنة ودفن صبيحة يوم الجمعة الثامن والعشرين من شوال فى الصحراء خارج البرقية بجوار والده الشيخ زين الدين المذكور ، وكان الذى صلى عليه قاضى القضاة علم الدين صالح فى الجامع الأزهر ، وحضر جنازته خلق كثير من العلماء والأمراء والقضاة وطلبة العلم الشريف ، وكان مشكور السيرة فى أيام ولايته ولم يخلف ولداً ذكراً وخلف ابن ابنة فأنعم عليه السلطان بجميع وظائفه ، واستتاب فيها جماعة من أهل العلم :

ومن جملة وظائفه : مشيخة خانقاه^(١) جمال الدين يوسف البيرى الأستاذ والدرس بها وتدریس مدرسة قراستقر وتدریس الحديث بالمدرسة الظاهرية العتيقة وتدریس القانبيهة وتدریس جامع طولون وغيره .

(١) أصبح أن يقال فيها « مدرسة » ولم تكن خانقاه أبداً وهى من إنشاء الأمير جمال الدين الأستاذ الذى بذل عليها كثيراً من الأموال حتى صارت آية فى الحسن والبهاء ، وكانت هذه المدرسة تقع برحبة باب العيد من القاهرة ، وكان بدو إنشائها فى جمادى الأولى سنة ٨١٠ ، واشترى لها بناها كثيراً من الكتب القيمة ، كما كان بها مجموعة من المصاحف بخطوط كبار الخطاطين أمثال ابن البواب وياقوت ، وأقيمت فيها دروس للمذاهب الأربعة كما درس فيها الحديث الشريف ابن حجر ، والتفسير الجلال البلقينى ، وجعل لكل من هؤلاء المدرسين الستة ثلاثمائة درهم كل شهر . وقد استولى السلطان فرج على هذه المدرسة سنة ٨١٢ وأزال اسم صاحبها وكتب اسمه على « دائر مصنفها من أعلاه وحل فتأذيلها وبسطها وسقفها » ومماها بالمدرسة الناصرية ، فلما كانت سنة ٨١٥ وقد تسلط شيخ - وكان حقيقياً بجمال الدين الأستاذ - ردها إلى بيت جمال الدين ، راجع الخطوط ٣ ص ٣٧٩ - ٢٨٣ . أما المدرسة القراستقرية فكانت تجاه خانقاه سعيد السعداء فيما بين رحبة باب العيد وباب النصر ، وكان لإنشائها بأشارة قراستقر المنصورى سنة ٧٠٠هـ ، ويقول المقرئ فى شأنها . أنها من المدارس =

٦٢٠ - الشيخ الإمام العالم الفاضل الزاهد الكامل كمال الدين عمرو البلخي نزيل القدس الشريف مات رحمه الله تعالى في هذه السنة وكان رجلاً صالحاً ديناً متعبداً تاركاً للدنيا ، قدم للدرس في البلاد وتوطن بالقدس وأشغل الطلبة على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة وفي غيره من العلوم ، وكان من أكابر تلامذة الإمام العلامة الشريف الجرجاني رحمه الله :

٦٢١ - الشيخ الإمام العالم الفاضل الزاهد نصر المغربي المسالكي نزيل القدس الشريف ، قدم من بلاد المغرب وأقام فيه مدة قريبة من عشرين سنة ، منقطعاً إلى الله تعالى متجرداً مشغولاً بالعلوم الشرعية والعبادة الصالحة ، قانعاً من الدنيا بالقوت اليسير إلى أن جاءه الموت المحتوم على الخلائق في هذه السنة ، فقضى نحبه ولحق بربه ودفن بالقدس الشريف ، رحمه الله :

٦٢٢ - قاضي القضاة الشافعية بالمدينة النبوية زين الدين عبد الرحمن ابن محمد المعروف بابن صالح ، مات في هذه السنة وتولى عوضه ولده أبو الفتح :

= الملية ، وكنا عهد البريدية إذا قدموا من الشام وغيرها لا ينزلون إلا في هذه المدرسة حتى يتهيأ سفرهم . راجع أيضا الخطط ج ٣ ص ٣٥٧-٣٦١ ، وإنباء القمر ، ج ٢ ص ٣٨٨ ، ٣٩٩ ، ٤٨١ . أما المدرسة الطاهرية فكانت بالقصر الكبير ، وتنسب إلى السلطان الطاهر بيبرس البندقداري وقد بئى بها سنة ٦٦٠ هـ ، وحين افتتحت تقف الشعراء بامتدادها وكان منهم أبو الحسين البغزالي وابن الخشاب والسراج والوراق ، أما وصف الصيرفي لما بالتحفة فراجع إلى ما أشار إليه المقرئ في قوله : « وهذه المدرسة من أجل مدارس القاهرة إلا أنها تقدم عهداً فرثت » .

(١) في الأصل « تلامذة » والأرجح أنها « تلامذة » ، يؤكد هذا ما ورد في الضوء اللامع ٤٤٧/٦ من أنه كان من أكثر تلامذة الشريف الجرجاني .

(٢) راجع عنه الضوء اللامع ١٠ / ٨٥٧ .

(٣) الوارد في النجوم الزاهرة في الضوء اللامع ٤ - ٣٤٤ « فاصر الدين » انظر إليها القمر : ج ٣ ص ٣١٧ ترجمة رقم ١٥ ، أما ابنه أبو الفتح الذي سيذكره المؤلف بعد قليل فاسمه « محمد » وقد تولى من أبيه قضاة المدينة المنورة الخطابة والإمامة كما صرح بذلك الضوء اللامع ٨ / ٩ في ترجمته إياه ، ثم نقل عن القضاء سنة ٨٤٤ لأخيه .

٦٢٣ - الأمير فارس^(١) أحد المقدمين بالديار المصرية مات في أوائل المحرم منها ، وكان أولاً جندياً دواداراً للملك الظاهر ططرمسا كان أميراً ، فلما ملك ططر الديار المصرية أعطاه إمرة طبلخانة ، ثم تولى نيابة إسكندرية وأقام فيها مدة ثم عزل في أواخر [١١٧] السنة الماضية ، وقدم إلى القاهرة واستقر أحد المقدمين الألوفا بها إلى أن مات في التاريخ المذكور ، أثنى عليه شيخنا قاضي القضاة البدر العيني في تاريخه ، فقال : « وكان رجلاً جيداً متورعاً متواضعاً » ، رحمه الله .

٦٢٤ - الأمير تنبك ميق نائب دمشق مات في شهر شعبان من هذه السنة ، ويقال عنه إنه لما وصل الفناء إلى دمشق استمر هارباً في بلادها من الموت فأوقعه الله فيها خاف منه ، وخلف موجوداً كثيراً ولم يخلف أولاداً ، وحمل جميع موجوده إلى القاهرة للمقام الشريف كما ذكرنا ذلك ولم يكن مشكور السيرة في ولايته بل كان المشهور عنه الطمع وأخذ الرشا وشرب الخمر وغير ذلك ، قال البدر العيني : « وأراح الله أهل الشام منه » ، وتولى عوضه بدمشق الأمير تنبك البجاسي نائب حلب كما قلنا .

٦٢٥ - الأمير شاهين^(٢) نائب الكرك مات في هذا العام وهو شجاع فارس مشهور بهما .

(١) اقتصر السغاوي أيضاً في الضوء اللامع ، ٤٩١٦ هـ على تسميته بفارس أحد المقدمين بمصر وذكر أنه نقل ذلك عن العيني .

(٢) بهذه الصورة ورد اسمه أيضاً في الضوء اللامع ٣ / ١١٤٤ ناقلاً ذلك - كما نص - عن العيني ، أما كلمة « بهما » الواردة في آخر ترجمته ، س ١٦ في السطر التالي فيقصد بها « الشجاعة والفروسية » كما يستدل على هذا من الضوء .

٦٢٦ - الأمير سيف الدين [شاهين]^(١) الفارسي أحد المقدمين بالشام ،
توفي في هذا العام بعلّة الطاعون :

٦٢٧ - زين الدين فارس الطواشي الخازندار مات يوم الأربعاء الخامس^(٢)
والعشرين من شهر الله المحرم هذه السنة وخلف مالا كثيراً وموجوداً كبيراً
من الذهب النقود وغيره ، واستولى السلطان عليه بجميعه وكان المذكور
خازندار الملك الناصر ثم الملك المؤيد ثم الملك الظاهر ططر ثم الملك الأشرف ،
هذا ولم ينقل عنه شيء يتقصه ، وكان رحمه الله يكتب بخطاً حسناً ورزقه
الله حظاً حسناً ، وكان كريماً إلى الغاية :

سافر والذي رحمه الله صحبته في أيام الملك المؤيد والملك الظاهر ططر
فنقل إلى عن كرمه ما لا يكاد أن يوجد إلا في الملوك الماضين أو البرامكة
المتقدمين ، فإن والذي كان صير في المقام الشريف وكان رفيق الزينى عبد الباسط
من البلاد الشامية وبينهما محبة قديمة ، فقربه الزينى عبد الباسط
وأدناه وصار كلما رسم السلطان بصدقة للفقراء وكلما زار القدس يأخذ^(٣)
الوالد محبة الأكياس المملوءة من الفضة والذهب فيأمره بإعطاء الفقراء
ولا يسأله عما بقى ولا عما صرف :

وكان يرى الشباب إلى غاية ما يكون في الحسن ، ويشغل بالعلم الشريف
ويجتمع عنده الطلبة من أولاد العرب والعجم فيحسن إليهم وينعم عليهم ،
لكن ميله إلى أولاد العرب أكثر من أولاد العجم ، وتولى عوضه الخازندارية
فارس الدين خشدتم الطواشي :

(١) أورد الفقه اللائع ٣ / ١١٤٠ ترجمته أطول مما هي عليه هنا ، فذكر أنه من أنشأه المؤيد
شيخ إلى أن جعله أحد المقدمين ثم قبض عليه ططر وحبس في الإسكندرية ، وأضاف إلى ذلك قوله :
« وكان من الفرسان ظناً » .

(٢) الوارد في إنباء القدر ، ج ٣ ص ٣٢٠ ، تهذيبه له مات في النصف من المحرم ٥

(٣) في الأصل « ولما » .

٦٢٨ - القاضي علم الدين [داود] بن الكوين كاتب السر الشريف، مات يوم الإثنين سلخ رمضان^(١) من هذه السنة ودفن في تربة كمشبغا الحموى بالصحراء خارج باب البرقية عند أخيه صلاح الدين، وكان ضعيفاً منذ سبعة أشهر منقطعاً عن الخدمة، وحضر جنازته جميع أمراء مصر وأعيانها وقضاة والمباشر^(٢) بها وخلف أشياء كثيرة من سائر الأصناف، وترك ولداً ذكراً وزوجة وهى بنت القاضي ناصر الدين بن البارزى الحموى، وتولى عوضه القاضي جمال الدين ناظر جيش طرابلس وكان قدم إلى القاهرة بإشارة القاضي علم الدين المذكور قبل موته بأيام:

٦٢٩ - الست زينب بنت الملك الظاهر برقوق زوجة الأمير قجق العيساوى أمير سلاح ماتت يوم الأحد التاسع والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ودفنت في تربة الملك الظاهر برقوق بالصحراء خارج باب النصر.

* * *

(١) « شوال » في النجوم الزاهرة ٦ / ٧٨٠ .

(٢) في الأصل « المباشرين » .

(٣) وكانت قد تزوجت قبله الملك المؤيد شيخ . هذا وقد ذكرت النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٧٧٩ أنها ماتت ليلة السبت ٢٨ ربيع الآخر، ولكنه « ربيع الأول » في الضوء اللامع ج ١١ ص ٤٠ رقم ٢٢٤ .

فصل

فيما وقع من الحوادث

في السنة السابعة والعشرين بعد الثمان مائة

استهلّت هذه السنة وأولها يوم الأحد وخليفة الوقت المعتضد بالله داود العباسي ، وسلطان البلاد المصرية والشامية أبو النصر برسبای وليس له نائب في مصر ، وأتابك العساكر بالديار المصرية الأمير بييغا المظفری ، وأمير سلاح قبحق العيساوى ، وأمير مجلس إيتاك النوروزي ، وأمير آنخور كبير جقمق أخى المصارع ، والدوادار الكبير سودون من عبد الرحمن ، وحاجب الحجاب شرباش قاشوق ، وأستادار العالية ناصر الدين محمد الشامي:

والوزير كريم الدين بن كاتب المناخات ، وكات السّر القاضي جمال الدين ناظر جيش طرابلس كان ، وناظر الخصاص بدر الدين حسن بن نصر الله ، وناظر الجيش زين الدين عبد الباسط .

والقضاة الأربعة ، هم : القاضي علم الدين صالح قاضي القضاة الشافعية ، والقاضي الحنفى زين الدين عبد الرحمن التفهني ، والمالكي الشيخ شمس الدين البساطي ، والحنبلي علاء الدين بن مغلى الحموي .

(١) هذا يطابق ماورد في جدول السنين في التوقيعات الإلهامية ص ١٤ ، وهو يعادل ٥ ديسمبر

وناظر الأحباس انقاضي بدر الدين العيني ناظر الأحباس المبرورة ،
والختسب القاضي صدر الدين بن العجمي ، ووالي القاهرة التاج الشامي .
ونائب دمشق تذك البجاسي ، ونائب حلب جارقطلو ، ونائب صفد
مقبل ، ونائب غزة تمرار ، ونائب إسكندرية آقبغا القمرازي .

وصاحب بلاد قرمان الأمير إبراهيم باك بن محمد باك بن قرمان ،
وصاحب الآجات وكرسيا برسا مراد باك بن كرشجي واسمه محمد ،
وصاحب تبريز الأمير إسكندر بن الأمير قرا يوسف ، وصاحب بغداد
محمد شاه بن قرا يوسف أيضاً ، وصاحب بلاد سمرقند وخراسان وما والاها
شاه رخ بن تمر لنك ، وصاحب اليمن الملك الناصر بن الملك الأشرف ،
وصاحب بلاد الدست [١١٧ ب] محمد خان من ذرية جنكزخان .

وقاضي القضاة الشافعية بالشام نجم الدين بن حجي ، والقاضي الحنفي
شهاب الدين بن الكشك ، والقاضي المالكي شمس الدين الأموي ، والقاضي
الحنبلي ابن الحبال الطرابلسي ، وكاتب السربها القاضي بدر الدين حسن
وهو ناظر الجيش أيضاً .

والقاضي الشافعي بحلب علاء الدين بن خطيب الناصرية ، والقاضي
الحنفي ابن أمير الدولة ، والقاضي المالكي ابن الشحنة ، والقاضي الحنبلي
شهاب الدين أحمد بن الرزاز العيشتاني وكان حنفياً وتحنبل لأجل الوظيفة ،
قال الحافظ البدر العيني في تاريخه بخطه : « وهو عار من جميع المذاهب غير
متلبس بالعفة والديانة » ، وكاتب السرب بحلب انقاضي ناصر الدين بن
السفاح .

وفي يوم الإثنين ثاني المحرم قدم الأمير مقلب الحسامى الدوادار نائب صفد إلى القاهرة وتمثل بين يدى السلطان يوم الثلاثاء الثالث منه وخلع عليه واستقر على عادته فى نيازة صفد، وأقام فى القاهرة ثمانية أيام ، ثم توجه إلى محل ولايته ونيازته .

* * *

ذكر عصيان الأمير تنبك البجاسى نائب الشام

وما وقع له ومسكه واعتقاله وقطع رأسه عن جثته ووصولها إلى القاهرة وتولية الأمير سودون من عبد الرحمن الدوادار الكبير بنيازة دمشق عوضا عن الأمير تنبك البجاسى

وسبب ذلك أن تنبك البجاسى لما انتقل من نيازة حلب إلى نيازة الشام رأى نفسه بعين العجب والتعجب والتهيه ، واستهوته الوسوس الشيطانية وحكمت عليه النفس الأمارة بالسوء أن يخرج عن الطاعة السلطانية ، وأظهر العصيان ، فبلغ ذلك السلطان فى الباطن من جماعة ناصحين له ، وهم وصلوا^(١) إلى ذلك من الثقات ، فلما تحقق للسلطان ذلك طلب الأمير سودون من^(٢) عبد الرحمن واستقر به نائباً عوضه قبل أن يشهر أمره ، فتجهز سودون المذكور وهو يظهر للناس أنه يتوجه إلى بحيرة إسكندرية ، هكذا ذكر

(١) يعنى بذلك أنهم عرفوا مخامراته على السلطان من جماعة من الثقات .

(٢) هو من الشخصيات الكبيرة التى لعبت دورا بارزا فى هذه الفترة حريبا واجتاهيا ، ويمكن طلب المزيد عنه بمراجعة كل من مورد الطائفة ، ص ١٢٠ ، وابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٢ ص ١٦٠ ، Marcel: L'Egypte depuis la conquête des Arabes, p. 183; Lammens: La Syrie, t. II, p. 21; Sobernheim: Matériaux ..., Syrie, p. 57.

الحافظ العيني في تاريخه - وهو عجيب جداً - بعد أن خلع السلطان عليه
بنيابة الشام يظهر التوجه للبحيرة لماذا ، غير أنه علل ذلك بأن السلطان أنعم
عليه بدورة البحيرة قبل توجهه إلى الشام فظن الناس ذلك صحيحاً ،
ولما فعل ذلك حتى لا يبلغ الخبر إلى تنبك البجاسي فيزداد عصيانه ويتمياً
للملاقاته ويتأهب بعده من الناس يجمعهم ويحشدهم ويتلف في الشام وفي
أهلها .

ولما كان يوم الإثنين الثالث والعشرين من المحرم برز الأمير سودون
من عبد الرحمن بطلبه إلى جهة دمشق :

وفي يوم الخميس السادس والعشرين من المحرم أرسل السلطان الأمير
سودون تنباي أمير عشرة ورأس نوبة ليأخذ نائب الشام تنبك البجاسي
ويتوجه به إلى القدس الشريف بطالا بناء على أنه مطيع ولا يخرج عن كلام
السلطان ، وذلك لأن عصيانه ما تحقق وما قطع به اليقين ، وإن كان أظهر
بعضه لكنهم غالطوه ، وصنعوا معه تجاهل العارف وما أفاد ذلك ، ولما
وصل سودون المذكور إلى دمشق يشتم عصيان النائب توقف في الدخول
عليه ثم قوى عزمه على الدخول إليه ليلغمه ما أرسل له من قبل السلطان ،
فأرسل أولاً البدوي الذي في خدمته يعلم نائب الشام بقدوم أستاذه ، فلما
وصل إليه وجده في جمع كبير ومحفل جسيم وهم ملبسون ، فأخبرهم بأستاذه
فأخذوه ودخلوا به عليه دار السعادة وقد امتلأت بالخلائق وظاهرها إلى

(١) الطلب هنا بمعنى الجيش .

(٢) لم يرد هذا الاسم في النجوم الزاهرة ولا فيمن ترجم لهم السخاوي في الفهرست اللائع باسم

« سودون » .

الجسر وكلهم ملبسون ، فكلمه كلاماً كثيراً ، وناولوه المرسوم السلطاني فأخذه وجعل يضرب به الأرض يعث به ، ثم إن سودون لما أكثر معه من الكلام زجر النائب جماعة ممن حوله من الخواص فانقضوا عليه في الحال وقطعوا ماعليه من الثياب والقماش والطرز الذهب وعزروه التعزير الفاحش ، ثم وضع في رقبته باشة وجنيز ، وسمعه .

ثم إنه لما خرج ليلاقى الأمير سودون من عبد الرحمن الذي تولى عوضه نيابة الشام أخذ سودون معه وذلك بعد أن خرج من خدمته من العشران والترك والتركان جمع عظيم ، فتلاقيا عند جسر يعقوب ووقع بينهم قتال شديد ، وحضر مقبل نائب صفد للأمير سودون من عبد الرحمن ومعه عسكر صفد وكذلك غزة وما والاها من القرى والبلدان ، وكان كل فرقة من العسكرين في ناحية وكانوا قد قطعوا الجسر ، فأراد تنبك البجاسي أن يدور ويأتى على سودون عبيد الرحمن فيكبس عليه ، فعمل سودون المذكور حيلة وأخذ من معه من العسكر وترك مكانه الأمير شاهين نائب القدس الشريف بمن معه من العسكر ليشغلوا تنبك البجاسي عن سودون من عبد الرحمن حتى يبعده عنه ، فلما عمل سودون هذه الحيلة خاض النهر وساقوا مجدين إلى أن دخلوا دمشق وملكوها ، فبلغ الخبر بذلك تنبك البجاسي فتبع سودون عبيد الرحمن حتى وصل دمشق وهجم عليه وقتله قتالاً شديداً وكان قتالهم في مكان فيه طين من المطر ، فكبأ فرسى تنبك البجاسي به ووقع في الطين فتكأروا عليه وأرادوا قتله فمنعهم سودون من قتله فسكوه وحملوه إلى القلعة ، وفي الحال كتب سودون من عبد الرحمن

بالواقعة مفصلة وجهاز بها دوااداره الثاني المسمى أحمد بن طولون وهو صهره ، فوصل إلى القاهرة يوم الأربعاء باكر النهار السابع عشر من صفر وطلع إلى السلطان ، فقرأ السلطان مطالعته وفرح بما تضمنته فرحاً شديداً ودقت البشائر ونكست أعلام أعدائه ، وأخلع السلطان على سيدى أحمد المذكور خلعة سنية وكان حضوره إلى القاهرة على هجين ، ومدة سفره ستة أيام لأنه خرج [١١٨ أ] من الشام يوم الأربعاء ودخل مصر يوم الأربعاء المذكور ، ولا يحسب يوم الخروج ولا يوم الدخول .

وكان الناصحون للسلطان في غاية ما يكونون من الضيق والتشويش قبل حضور هذا القاصد ومعظمهم الزينى عبد الباسط فإنه كان يتوهم أن سودون ما يقاوم تنبك ، فأطفا الله تعالى هذه الفتنة ، وهذا من سعد السلطان ونيته الخالصة الطيبة .

ثم إن نائب الشام الأمير سودون من عبد الرحمن استقر في مملكته ونيابته ونظر في أحوال رعيته وأحوال عسكره ، وميز الطائعين من العاصين ، والمناقين من المخلصين ، وعرف السلطان بجميع ذلك فأجابه السلطان بما يفعله من المسك والإطلاق والأخذ والعفو ، وأكد عليه أن يحتفظ بتنبك البجاسى في السجن ، ثم أردفه بعد ذلك أن ينفذ فيه قضاء الله وقدره ، فلما وصل إليه المرسوم السلطانى بذلك عمل بمقتضاه وقطع رأسه وجهازها إلى القاهرة فوافق وصولها يوم الأحد الثاني عشر من ربيع الأول ، فرسم السلطان أن تشهر وينادى عليها : « هذا جزاء من عصى السلطان من النواب وأثار الفتن وخرج عن الطاعة » ، فطاف بها الأمير التاج الوالى

وهو ينادى عليها إلى أن دار بها البلد ، وآخر أمرها علقت على باب الفتوح^(١)
المجاور للمقشرة وحصل بذلك رعب في قلوب المفسدين وانقطع دابر
القوم الظالمين .

وكان مسفر سودون من عبد الرحمن إلى الشام الأمير برد بك أمير^(٢)
أخور ثاني ، وهو والد مخدومنا الجنب الزينى فرج أمير حاجب بالديار
المصرية الآن ، وحصل له مبلغ عشرة آلاف دينار ثنوى الخيول والقماش
وغير ذلك : رحمه الله رحمة واسعة وسائر أموات المسلمين :

* * *

ذكر من أنعم عليه السلطان عليه بامرة

أو وظيفة أو إقطاع

لما انحل إقطاع الأمير سودون من عبد الرحمن ووظيفته بحكم استقراره
في نيابة الشام أنعم السلطان بإقطاعه على الأمير قجق العيساوى أمير سلاح ،
وأنعم بإقطاع قجق على الأمير شرباش قاشوق حاجب الحجاب ، وأنعم
بإقطاع شرباش على الأمير قطش رأس نوبة ثاني^(٣) ، وكان أمير طبلخاناه ،
واستقر أحد المقدمين الألوف بالديار المصرية .

(١) في النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٧٦ « باب النصر » .

(٢) هو الأمير سيف الدين برد بك السيف أيشيك بن أزدذر المعروف بأمير أخور ، وكانت
وفاته سنة ٨٣٣ ، انظر ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٢ ص ٤٤٤ ترجمة رقم ١٤ ، والنجوم
الزاهرة ، ج ٦ ص ٨١١ ، ٨١٥ .

(٣) ويعرف أيضا باسم « قطج الظاهري » وسورده المؤلف بهذا الرسم أيضا بعد قليل ، انظر
ترجمة رقم ٩ في وفيات سنة ٨٤٣ في ج ٤ من إنباء الغمر ، وانظر أيضا الضوء اللامع ٦ / ٧٤٠ .

وفي يوم الخميس الثاني عشر من صفر خلع على الأمير قانباى البهلوان^(١) رأس نوبة ثالث واستقر حاكما موضع الأمير قطع بحكم استقراره رأس نوبة ثانياً .

وفي يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ربيع الأول خلع على الأمير أزيك^(٢) الحمدي الظاهري رأس نوبة كبير واستقر دواداراً كبيراً عوضاً عن الأمير سودون من عبد الرحمن ، وخلع على الأمير تغسرى بردى^(٣) الحمودى أحد المقدمين بالديار المصرية واستقر رأس نوبة كبيراً عوضاً عن الأمير أزيك بحكم انتقاله إلى الدوادارية .

وفي يوم الثلاثاء الثالث من جمادى الآخرة خلع على الأمير صلاح الدين محمد بن القاضي بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص واستقر أستاذار العالية بالديار المصرية عوضاً عن ناصر الدين محمد بن أبو والى بحكم عزله ، وكان السلطان قد عوقه يوم الإثنين الثاني من جمادى الآخرة ومعه كريم الدين بن كاتب جكم ناظر الدولة ، وفي آخر النهار أطلقهما .

(١) هو قانباى الأبو بكرى الناصرى فرج المعروف بالبهلوان ، وقد ورد في الضوء اللامع ٦٥٣/٦ أن الأشرف برسباى جعله رأس نوبة ثانياً ثم مقدماً ثم نائباً ملطية مضافاً للتقدمة ، ثم صار أتابك حلب فدمشق ، كما ذكر أبو المحاسن في المنهل الصافي أنه صار رأس نوبة ثانياً وليس ثالثاً ، انظر أيضاً السخاوى : التبر المسبوك ، ص ١٩٢ ، ١٩٦ ، والطليح : إعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٤٤ ، Sobernheim: op. cit (La Syrie), p. 68.

(٢) هو أزيك الظاهري المتوفى سنة ٨٣٣ ، وقد تعددت الإشارة إليه في النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٣٢ ، ٥٧٦/٦٣٥ ، ٨٠٤ ، ٨٢٥ ، راجع أيضاً إلباء الغمر ، ج ٣ ص ٤٤٣ ترجمة رقم ٨ .

(٣) هو تغرى بردى الحمودى الناصرى ، وكان رأس غزاة جزيرة قبرص ، راجع عنه إلباء الغمر ، ج ٣ ص ٥٠٤ ترجمة رقم ٧ ، هذا وقد ذكر أبو المحاسن في النجوم الزاهرة أنه كان أول أمير لبس التخافيف الكبار المالية ، فقلده الناس في ذلك « من بعده حتى خرجوا عن الحد » ، انظر النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٢٤ ، و :

وفي سلخ هذا الشهر أنعم السلطان على دقاق الخاصكى الذى كان
تولى حماه وحلب وغير ذلك بإقطاع جربغا نائب بهسنا بحكم وفاته ، وكان
دقاق المذكور وهو أستاذار الملك الأشرف هو الذى قدمه للملك الظاهر
برقوق ، وتولى نيابة بهسنا الأمير قرايغا أحد الطبلخانات بطرابلس فتوجه
إليها وهو على إقطاعه بطرابلس .

وفي يوم السبت الثامن والعشرين من شهر الله المحرم الحرام خلع على
سيدنا ومولانا وشيخنا الشيخ الإمام نادرة الليالى والأيام خادم السنة والأثر
الشهير بنسبه العريق بابن حجر واستقر قاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية
عوضاً عن القاضى علم الدين صالح بن البلقينى بحكم عزله ، وكان قد
طلع يوم الخميس ليلبس فتعوق .

وفي يوم السبت عاشر شهر ربيع الآخر خلع على قاضى القضاة شمس
الدين محمد بن عطاء الله الرازى الشافعى الشهير بالهروى واستقر كاتب
السر الشريف بالديار المصرية عوضاً عن القاضى جمال الدين ناظر^(١)
جيش طرابلس بحكم استعفائه وعجزه عن إقامته بالوظيفة ، مع أن خلقاً
كثيراً سعوا فى الوظيفة فى أيام استعفائه فما كانت إلا من نصيب الهروى ،
وكان للبس^(٢) [الخلعة] يوم مشهود وركب معه خلق كثير من الأمراء والأتراك
والقضاة والفقهاء ، ومن جملةهم الأمير تغرى بردى رأس نوبة كبير^(٣) ،

(١) المقصود بذلك جمال الدين يوسف بن الصبى الكركى ، راجع النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص
٥٧٦ س ١٦ .

(٢) فى الأصل « يوماً مشهوداً » .

(٣) هناك ثلاثة بهذا الاسم هم : تغرى بردى الرومى البكلمشى المعروف بالمؤذى الذى جعله
الأشرف برسبى من رموس النوب كما جافى الضوء اللامع ٣ / ١٣٣ والمتوفى سنة ٨٤٦ ، وأما الثانى
فهو تغرى بردى المحمودى الناصرى الذى كان رأس نوبة النوب ، وأما الثالث فهو تغرى بردى
المقيدى رأس نوبة النوب ، راجع ترجمته فى الضوء اللامع ٣ / ١٤٠ .

وكان السلطان خلع عليه خلعة هائلة بطرازين زركش وأركبه فحلا خاصاً
بسرج ذهب وكنبوش زركش ، ثم إن الهروي قدم ذلك الفرس بقماشه
للأمير تغرى بردى [المحمودى] المذكور ، ثم لمسا مضت بعض أيام على
توليته شرع بعضهم يتكلم بأن الهروي يتوقف جداً في قراءة الكتب والمطالعات
بين يدي السلطان ويحجم عن ذلك ، وكثر القول والقليل ، وآخر الأمر
صمم السلطان على عزله فشاع الخبر بذلك بين الناس ، وكان القاضى
نجم الدين بن حجبى قاضى القضاة الشافعية بدمشق قدم القاهرة في الرابع
عشر من جمادى الأولى فسعى في الوظيفة المذكورة مع جملة من سعى ،
فقدّر الله له ذلك وخلع عليه يوم السبت الحادى والعشرين من جمادى الآخرة
واستقر كاتب السر الشريف [١١٨ ب] عوضاً عن الهروي بحكم عزله ،
وكان السلطان عرض على الهروي أن يتولى قضاء الشام عوضاً عن القاضى
نجم الدين المذكور فلم يرضه ذلك واختار البطالة ، ثم إن الله تعالى منّ عليه
بوظيفة قضاء الشافعية بالديار المصرية :

ففى يوم الإثنين الثامن من شهر ذى القعدة الحرام خلع عليه واستقر
قاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية عوضاً عن شيخنا العلامة ابن حجر
بحكم عزله ، وكان لبسه التشريف عند باب الستارة لأن السلطان كان قد
خرج من القصر فألبسه الخلعة وهو واقف وكان له يوم مشهود^(١) .

* * *

(١) في الأصل « يوما مشهودا » .

ذكر مسك بديغا المظفرى أتابك العساكر بالديار المصرية

لما كان يوم السبت سلخ شوال مسك السلطان الأمير بديغا المظفرى بعد انقضاء الخدمة ، فأرسل إليه الدوادار الكبير ومسكه ، وفى يومه أمر أن يسافروا به إلى ثغر إسكندرية للاعتقال بها ، فسافر به فى يومه ذلك الأمير تنبك^(١) رأس نوبة صغير ، وكان السبب فى ذلك طول لسانه وتكلمه فيما لا ينبغي ، فاحتمله السلطان كثيراً وآخر أمره قبض عليه . وفى يوم الخميس الرابع من ذى القعدة خلع على الأمير قجق العيساوى أمير سلاح واستقر أتابك العساكر بالديار المصرية عوضاً عن بديغا المظفرى بحكم مسكه واعتقاله فى الإسكندرية وأنعم من إقطاعه بشيء على الأمير تغرى برمش^(٢) [بن أحمد المعروف بابن المصرى] نائب القلعة وكان طبلخاناه فاستقر أحد المقدمين الألوف بالديار المصرية ، وأنعم بإقطاعه على الأمير سودون ميق رأس نوبة صغير وأمير عشرة وصار طبلخاناه ورأس نوبة على عادته ، وأنعم بإقطاع سودون المذكور على الأمير إينال الششمانى أحد رعوس النوب ، وأنعم بإقطاع إينال الششمانى على الأمير قطلوخجا رأس نوبة ، وأنعم بإقطاع قطلوخجا على ألتنبغا الحمداد وكان أمير عشرة فى

(١) هو تنبك من برد بك الظاهرى الذى سيصبح فيما بعد أتابك العساكر المصرية .

(٢) هناك كثيرون يسمون بتغرى برمش ، ذكر منهم السخاوى خمسة ، لكن المقصود هنا هو الأمير حسين بن أحمد الجيسى نائب قلعة الجبل ، وقد نعته النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٨١ « بالتركائى » على أن هذا التمت أورده السخاوى فى الفسوء اللاع ١٤٢/٣ لواحد من كان أقرب إلى الفقهاء منه إلى الأمراء ، ولكنه حين ترجم لتغرى برمش هذا سماه تغرى ورمش ، وهذا اسم صحيح أيضاً لم يشر إلى هذه الكنية بل قلل لأن أباه عرف بابن المصرى ، أنظر نفس المرجع ١٤٧/٣ .

أيام الملك الناصر فرج ، وكان السلطان قد وفر من الإقطاعات المتوفرة باسم الأمير إينال الحكيم الذي كان مشد الشراب خانا للملك المؤيد ، ثم لما مات المؤيد أعطى مقدمة ألف واستقر رأس نوبة كبيراً ، ثم سافر ططر محبة الملك المظفر بن المؤيد إلى الشام وتولى نيابة حلب مدة يسيرة ثم مسك وحبس ، ثم أفرج عنه السلطان الملك الأشرف وأرسله إلى القدس الشريف بطالا ، ثم بعد قضية يلغا المظفرى طلبه فقدم القاهرة يوم الإثنين الخامس عشر من ذي القعدة وتمثل بين يدي السلطان ونزل في بيت الأمير جمال الدين الأستاذار بعد أن أخلع عليه واستقر أمير مجلس عوضاً عن الأمير إينال النوروزى بحكم استقراره أمير سلاح عوضاً عن الأمير قجق العيساوى بحكم استقراره أتابك العساكر عوضاً عن بيبغا المظفرى .

* * *

ذكر بقية الحوادث في هذه السنة

وفي أواخر المحرم حصل مطر عظيم على القاهرة وتوالى خمسة أيام لم ينقطع ولم يعهد بمثله :

وفي يوم الخميس الرابع والعشرين من صفر خلع على الشيخ سراج الدين عمر بن الشيخ على الشهير بقارئ الهداية واستقر في مشيخة مدرسة

(١) هو الشيخ سراج الدين عمر بن علي بن فارس الحسيني الحنفي ويعرف بقارئ الهداية لكثرة قراءته إياها ، وقد اعتنق المذهب الحنفي حين وعد يلغا كل من يصحف بخمسة دنانير ، وتروى الشيخ سراج الدين على كثير من علماء عصره في الفقه واللغة والحديث وانتهت إليه رئاسة الحنفية وكثر تلاميذه والاعلون عنه ، أما قصة ركوبه الفرس السلطاني فترجع إلى أنه حين استقر بالشيخوخة أراد الذهاب إليها ماشياً فأرسل إليه برسبى هذه الفرس وألزمه ركوبها فركبها لكن مع أخذ عصا يده ليسوقها بها ونزوله عنها برجليه معاً من جهة واحدة « كما ينزل راكب الحمار » كما أشار إلى ذلك الضوء اللامع ٦/ ٣٤٤ ، هذا وسترد ترجمته فيما بعد ص ١٠٧ رقم ٦٤١ ، وأنظر أيضاً إلهام القمر ، ج ٣ ص ٣٧٩ ترجمة رقم ٩ والخواص الواردة هناك .

(١) شيخون عوضاً عن الشيخ شرف الدين يعقوب بن جلال الدين التنبائي^(٢) بحكم وفاته ، ونزل إليها وهو راكب فرساً من خيل السلطان وبين يديه جماعة كثيرة من الطلبة والأمير أزيك رأس نوبة وهو الناظر على مدرسة شيخون : وفي يوم الجمعة السابع من جمادى الأولى أقيمت الجمعة في المدرسة الأشرفية المستجدة على رأس الحريريين^(٣) وكان الخطيب بها الواعظ الحموي^(٤) وفي ليلة السبت الرابع عشر من جمادى الأولى ولد للسلطان ولد ذكر من سريته جليان وسماه يوسف^(٥) :

(١) الأصح أن يقال فيها خائفاء شيخون أو شيخو لوقوعها أمام جامع شيخو ، وهي منسوبة إلى منشأ الأمير سيف الدين شيخو العمري سنة ٧٥٦ ، وقد وصفها المقرئ في الخطط ، ج ٣ ص ١٢٤ بأن « مساحة أرضها زيادة على فدان ، فاخبط فيها الخائفاء وحمامين وعدة حوانيت يعملوها بيوت لسكن العامة » . وقد رقب صاحبها لكل طالب بها في اليوم الطعام واللحم والخبز وفي الشهر الخلوى والزيت والصابون ، « وقد ظلت مزدهرة حتى موت الشيخ أكل الدين ، أنظر ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ص ٢٩٨ ترجمة رقم ٢٥ . هذا وقد طبع السلطان فرج فيها فأخلت في التدهور .

(٢) هو يعقوب بن جلال بن أحمد بن يوسف ، ويسمى أيضاً أحمد بن جلال الدين ، كما يسمى كذلك رسولاً الرومي ، وكان يسكن التيافة خارج القاهرة ، وقد تولى تدريس مدرسة الجلى الیوسف سنة ٧٩٠ وتلى شذائد من السلطان الناصر فرج لكن عوضه خيراً عن ذلك المؤيد شيخ ، أنظر الضوء اللامع ١٠ / ١١٠٩ ، وشذرات الذهب ج ٧ ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٣) في النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٥٧٦ « بخط المتبرين » .

(٤) يقصد بالواعظ الحموي هنا عبد الرحيم بن أبي بكر بن محمود خطيب الأشرفية ويعرف بالآرمي وبالحموي نسبة لمولده بحماة كما يعرف بابن الأدي وكان يقرأ المواعيد وله نفعة طيبة في القرامطة ، وقد تولى بعض وظائف الخطابة كخطابة المسجد الأقصى ، وكان يخط بالأزهر ، ومات فجأة سنة ٨٤٨ بعد أن جاوز الثمانين من عمره ، أنظر إنباء الغمر ، ج ٤ ترجمة رقم ٦ وفيها سنة ٨٤٨ ، والضوء اللامع ٤ / ٤٤٩ .

(٥) هي جليان بنت يشبك ططر وقد تزوجها برسبای بعد موت زوجها خوند الكبرى أم ولده الناصري محمد ، وبلغ من عظيم مكانتها عنده أنه استقدم إخوتها وأمه وأقاربها وأنعم عليهم بالإقطاعات ويقال إنها ماتت مسمومة وبعدة الصرع ، أنظر ترجمة رقم ٩ وفيها سنة ٨٣٩ في الجزء الرابع من إنباء الغمر ، والضوء اللامع ج ١٢ ص ١٧ ترجمة رقم ٨٩ .

وفي ذلك اليوم قدم القاضي نجم الدين بن حجي من الشام إلى القاهرة وقبل قدومه يومين قدم الأمير ناصر الدين بن منجك من الشام والأمير طغرق بن داود بن إبراهيم بن قراجا بن ذلغادر نائب ملطية وأقام بها ثم سافر إلى محل ولايته :

وفي يوم الخميس الثالث من رجب خلع السلطان على الشيخ علاء الدين على بن الرومي الحنفي واستقر به شيخاً لمدرسته التي أنشأها بجوار الحريين^(١) كما قدمنا ، وركب وتوجه إليها واتفق له لإجلال عظيم حضر فيه أعيان القاهرة من العلماء والقضاة وغيرهم ، واستفتح فخطب خطبة بليغة متضمنة للتحية السلطان ، ثم شرع يتكلم في قوله تعالى^(٢) « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله » ، الآية ، وكان قدومه إلى القاهرة يوم السبت الثامن والعشرين من جمادى الآخرة ، وكان حضوره في البحر المالح من العلايا^(٣) التي على ساحل البحر فوصل إلى دمياط في سبعة أيام ، وعند قدومه بلغ السلطان فأقبل عليه إقبالا عظيماً ثم ترادفت عليه نعمه ورواتبه ، ومن جملة ما أنه خلع عليه مرات متعددة وأنعم عليه في شهر رمضان بأشياء : قمحاً وسكراً وذهباً ، ثم سأل في سفر الحجاز فأنعم عليه بهجين ومبلغ من الذهب جملة مائة وخمسون ديناراً ؛ وقال شيخنا العلامة البدر العيني في تاريخه ما جملة : والذي حصل له في أيام الملك الأشرف ما حصل لأحد قبله من الدول الماضية إلا أن كان في أيام الملك الأشرف شعبان رحمه الله :

(١) في النجوم الزاهرة، ج ٦ ص ٥٧٨ « بخط العنبرين » ، راجع ص ٥٢ ص ٥ ، وحاشية رقم ٢.

(٢) سورة التوبة ، ٩ : ١٨ .

(٣) العلايا ميناء على الساحل الجنوبي للبحر الأسود وهي منسوبة إلى بائها السلطان علاء الدين السلجوقي ، وقد وصفها ابن بطوطة سنة ٧٣٣ « بالكبر والاتباع والمتاجرة مع نهر اسكندرية » ، كما صعد هو نفسه قلعتها التي قال عنها : « إنها عجيبة منية » راجع لسترايج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٨٣ .

وفي يوم الخميس المذكور هرب الأمير مقبل بن نخباز صاحب ينبع وكان قد قدم إلى خدمة السلطان طائعاً ، وكان سبب هروبه على ما قيل إن صاحب ينبع الذى تولى عوضه المسمى عاقل أرسل قاصده إلى السلطان فتوهم مقبل أنه إنما جاء بسبب قتله وحبسه فهرب ؛ وفي يوم الخميس الرابع من رجب مسك السلطان ولده وكان فى القلعة وأرسله إلى الإسكندرية فاعتقل بها ، وكان سبب عزله من ينبع [١١٩٦] وتولية عاقل مكانه لمباشرته أسباب العصيان ، وأيضاً فإنه لما رجع الحاج فى السنة الماضية ووقع بين الترك الذين كانوا مع الحجاج وبينه قتال شديد قريباً من ينبع وانهمز انهمازاً قبيحاً ونهب جميع ما معه فلم يزل بعد ذلك دائراً وحائراً فى بلاد ينبع ، وآخر أمره قدم طائعاً وفعل ما فعل .

وفى العاشر من رمضان قدم الأمير عليباك بن الأمير خليل بن الأمير زين الدين قراجا بن ذلغادر صاحب مدينة إبلستين ومرعش كبير التركمان إلى القاهرة وتمثل بين يدى المواقف الشريفة ثم نزل فى بيت الأمير جمال الدين الأستاذار البيرى وأنعم السلطان عليه بقماش كثير وأجرى عليه مرتبات وكان حضوره إلى المقام الشريف من العجائب لأنه وأخاه الأمير ناصر الدين محمد وأباهما الأمير خليل وجدهما زين الدين قراجا وأعمامهم وسائر أقربائهم عاصون ديدناً على السلطنة ، فلولا أنه اعتراه أمر عظيم لما خاطروا وتمثل لدى السلطان ، وآخر الأمر عرف مجيئه بسبب ما وقع بينه وبين أخيه ناصر الدين محمد من العداوة التى أدت إلى أن كبسه وهو فى غفلة وقلة

رجاله ، ونهيه نهياً شديداً بحيث إنه تركه على الأرض السوداء لا يملك
بيضا ولا صفرا ، فن قهره وصبره تجرأ على القدوم وحصل له من السلطان
جبر عظيم وأنعم عليه بألف دينار ورسم له بمثلها من الشام ، وأنعم عليه
أيضاً باقماش والخليل والجمال ، وقال شيخ الإسلام البدر العيني في
تاريخه لمسا ذكر قصته : « وما كان يليق به إلا القتل وأقل عقابه الحبس لأنه
من العجزة المفسدين ومن الظلمة المحرمين » :

وفي يوم السبت السابع عشر من ربيع الآخر كان ختان سيدى محمد
ابن السلطان الملك الأشرف برسباى وكان يوماً مشهوداً .

* * *

وفي هذه السنة أمر السلطان ، أن يقرأ البخارى من أول شعبان وأن
يحضر القضاة الأربعة ، وهم : القاضى شمس الدين الهروى والقاضى زين
الدين عبد الرحمن التفهنى ، والقاضى شمس الدين البساطى المالكى ، والقاضى
علاء الدين بن مغلى الحنبلى ، وأمر أن يحضر الفضلاء من كل مذهب ،
وأن يحضر القاضى شهاب الدين بن حجر فحضروا شهرين كاملين لسماع
البخارى ، وكان السلطان يحضر معهم فى القصر البرانى الكبير ، والقارىء
للبخارى نور الدين السوينى أحد أئمة السلطان ، ولما كان الختم خلع السلطان
على أكثر من عشرين فقيهاً كل واحد منهم صوف مربع بسنجاب
طرى ، وخلع على القضاة الأربعة طرجات وجبات ، وخلع على القاضى
شمس الدين الهروى كاملية خضراء بفرو سمور ، وخلع على القاضى
البدر العيني صوف مربع بسنجاب ، وعلى القارىء والمادج ، وفرق
على أكثر من مائة نفس من الطلبة من سائر المذاهب لهم فلوساً لكل إنسان ،
رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح الجنة :

* * *

ذكر الأسعار في هذه السنة

لم يتغير فيها سعر الذهب والفضة فكان كل مثقال من الذهب الهرجة بمائتي درهم وخمسين درهماً من الفلوس الجدد ولكن الهرجة قلت جداً ، وأما الشخص من الأفلوريات فمائتين وعشرين درهماً من الفلوس بحسب الأمر السلطاني ، وكان بين الناس بزيادة خمسة دراهم ، وكل درهم من الأشرفية الفضة بعشرين درهماً فلوساً ، والدرهم المؤيدي بسبعة دراهم :

وكان الرطل من الخبز في أوائل السنة بدرهم ، وفي آخرها صار كل عشرة أواق وتسعة أواق بدرهم ، والرطل من اللحم الضاني السليخ بسبعة دراهم ثم زاد نصف درهم ، وكل رطل من الضاني السميطة بستة دراهم ثم زاد نصف درهم ، وكان الرطل من العسل المصري بثلاثة عشر درهماً والرطل من السمن والزيت بثمانية ، ومن السرج بتسعة ، والرطل من الجبن المقل بتسعة وبعشرة ثم نزل إلى سبعة :

وتحسن سعر الفراء والثياب البعلبكي :

وكان الإردب من القمح بمائة وأربعين وثلاثين وعشرين ثم انتهى مائتين وعشرين ، والإردب من الشعير كان بخمسة وأربعين وخمسين ثم وصل إلى تسعين ومائة ، والإردب من الفول بستين وسبعين ثم بلغ إلى مائة :

* * *

وفيها في يوم الأربعاء الحادي والعشرين من رمضان أوفى بحر النيل المبارك ونزل سيدي محمد بن السلطان وفي خدمته الأمير أزيك الدوادار الكبير

(١) الوارد في التوقيعات الإلهامية ، ص ٤١٤ أن أول رمضان سنة ٨٢٧ كان الجمعة ويمادله الرابع من سنري ١١٤٠ من سن القبط مما يختلف بهجة أيام مما هو وارد بالمتن أعلاه .

والأمير جانبك الدوادار الثاني وكسروا السد وحصل بذلك فرح عظيم ، ووافق ذلك الثالث والعشرين من مسرى وكان النيل قد توقف قبله بثلاثة أيام حتى ضجعت الناس وتزاحموا على القمح ، ثم سهل الله الأمر وعاد إلى ما كان عليه ، لكن شرق غالب البلاد :

وفيها حج بالناس من القاهرة الأمير قرا سنقر^(١) أمير عشرة وكان كاشف البلاد الجيزة فعزله السلطان ثم ولاه إمرة الحاج ، وكان أمير الركب الأول الأمير برد بك^(٢) أمير آخور ثاني والد سيدنا ونخدومنا الزيني فرج الحاجب : وحج في هذه السنة من الأعيان أخو مولانا السلطان الملك الأشرف وهو سيف الدين يشبك وكان قدم من بلاد الجراكسة في السنة الماضية ومعه جماعة من أقاربه [١١٩ ب] وأصحابه من البلاد :

* * *

ذكر من توفي هذه السنة من الأعيان

٦٣٠ - الشيخ الإمام شرف الدين يعقوب^(٣) بن الشيخ الإمام العالم العلامة جلال الدين أحمد الديري الرومي الشهير بالتباني ، توفي وقت صلاة الصبح ليلة الأربعاء السادس عشر من صفر فجأة ودفن صبيحة يوم الأربعاء عند والده بالصحرَاء خارج باب المحروق بالقرب من باب الوزير ، وكان

(١) هو قرا سنقر الشمسي الظاهري برقوق وقد صار في أيام المريد طليخاناه وسافر أمير الحج أكثر من مرة زمن الأشرف برسبای ، وقد أنشأ « مدرسة صغيرة » بالقرب من ميدان انجيل ببركة الناصري بالقاهرة تجاه داره ومات سنة ٨٢٩ ، انظر الضوء اللامع ٦ / ٧٢١ .

(٢) يضاف إلى ما سبق أنه كان كثير الخير والشفقة ميالا للبر .

(٣) في النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٨٢ « يعقوب بن رسولا بن أحمد بن يوسف »

رجلاً عالماً ذكياً فاضلاً مستحضرأ ضحوكاً ، وكان عنده كرم مفرط ،
تولى خطابة جامع الأمير أبحاى وإمامته والتدريس به فى أيام والده فى
حدود سنة تسعين وسبعائة ، ثم تولى بعد أبيه نوبة الأمير قبحا السلحدار
خارج باب الوزير ، وتولى أيضاً مشيخة خانقاه^(١) قوصون مدة ثم نزل
عنها ، وتولى هو وأخوه شمس الدين محمد النظر على القدس الشريف
فى أيام الملك الظاهر برقوق بسفارة الأمير أيتمش أتابك العساكر ، ثم تولى
هو النظر على الكسوة الشريفة ووكالة بيت المسال ، فأقام فى النظر على
الكسوة مدة طويلة عزل عنها بمرافعات كثيرة ، واستمرت الوكالة معه
إلى حين وفاته : وتولى مشيخة الشيخونية فى أيام الملك المؤيد عوضاً عن
القاضى أمين الدين عبد الوهاب بن الطرابلسى^(٢) الحنفى بحكم عزله واستمر
فيها إلى أن مات :

وجرت عليه أمور كثيرة بسبب مشيخة الشيخونية ، ولما مات كان
عمره ما ينيف على سبعين سنة ، رحمه الله تعالى بكرمه وحلمه .

(١) هى من إنشاء الأمير سيف الدين قوصون سنة ٧٣٦ وقرر لشيخها كل ما يحتاجه
من « الدراهم والخبز واللحم والصابون والزيت حتى جامكية غلام بقلته » على حد قول المقرضى ،
وأجرى مثل هذا على من قرره بها من الصوفية وأبطل ذلك فى سنة ٨٠٦ فى وقت الاضطرابات الداخلية
فى مصر ، انظر الخطط ج ٣ ص ٤١٩ ، وانظر أيضاً عن مؤسسا الخطط المقرضى ، ج ٢
ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٢) هو عبد الوهاب بن محمد أحمد بن أبى بكر بن صديق الطرابلسى الأصل المعروف بابن
الطرابلسى ، ولد سنة ٧٧٣ أو فى التى بعدها وأكثر من السماع والأشغال والنظر فى الفقه وإن وصف
فى بعض المصادر بأنه « عار من أكثر الفنون إلا استحضار شئ يسير من الفقه » راجع لإبهاء
الفرج ج ٣ ص ١١١ ترجمة رقم ٢٣ ، والنسوة اللايع ٥ / ٣٩٣ ، وشذرات الذهب
ج ٧ ، ص ١٣٧ .

٦٣١ - قاضى القضاة جمال الدين بن زيد^(١) الشافعى البعلبكي مات يوم الثلاثاء السابع من ربيع الأول ودفن ببلدة بعلبك ، وكان تولى قضاء الشافعية بدمشق مرتين مرة في أيام الملك المؤيد ومرة في أيام الملك الأشرف برسبى في كليهما عوضاً عن قاضى القضاة نجم الدين بن حجبى ولكن لم تطل مدته في توليته كلها ، قال البدر العيني في تاريخه : « ولم يكن مشهوراً بالعلم ولا بالبيت الكبير » :

٦٣٢ - الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن عبد الله الشهير بابن كاتب المناخات مات ليلة الجمعة الحادى والعشرين من جمادى الأولى وصلى عليه يوم الجمعة قبل الصلاة في باب النصر ودفن في تربة بجاس وكان معزولاً عن الوزارة ، ويوم وفاته كان والده وزيراً عوضاً عن أرغنشاه : وكان تاج الدين المذكور سهل العريكة في وزارته خفيف الوطأة على الناس قريباً خائفاً من الله تعالى غير خائف في الظلم الشديد ، وكانت عنده شفقة على خلق الله تعالى^(٢) : وقد قدمنا في عزله أن تقدمته في هذه الوظيفة كانت نحواً من ستين ألف دينار :

(١) هو عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن زيد ، وبهذا يعرف ، وقد ولى قضاء بعلبك ثم طرابلس ثم دمشق مرتين إحداهما سنة ٨١٩ والأخرى سنة ٨٢٦ ، هذا وقد ورد في ابن طولون : قضاة دمشق ص ١٤٩ / ١٥١ أن وفاته كانت يوم الثلاثاء سادس الشهر . أما الضوء اللامع ٥ / ٢٣٧ فذكر الشهر دون أن ينص على اليوم ، انظر شذرات الذهب ج ٧ ص ١٧٩ حيث ضبط الاسم منه كذلك النعمي : الدارس في تاريخ المدارس ، ج ١ ص ١٤٦ .

(٢) في الأصل « في كلاهما » .

(٣) أشارت النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٨٣ إلى ما استجده في أيامه من مكس الفاكهة ، وعلق على ذلك بقوله : « هذا هو الشق الذى ظلم الناس لغيره » ، انظر أيضاً نفس المرجع ج ٦ ص ٤٨٤ ، ٥٦٣ ، والسيوطي : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ج ٢ ص ١٣٠ .

٦٣٣ - الأمير آق قعجا الكركي أمير عشرة ، توفى في جمادى الآخرة وأنعم بإمرته على آقبا التركمانى ؛

٦٣٤ - الأمير سودون الأشقر^(٢) توفى في هذه السنة بدمشق وكان آخر المقدمين بها ، وكان أصله من مماليك الظاهر برقوق وترقى المنازل في أيام الملك الناصر فرج فأعطى أولا إمرة عشرة ، ثم أنعم عليه بإمرة عشرين واستقر رأس نوبة وكان يحكم بين الناس ، ثم ترقى إلى أن أنعم عليه بتقدمة ألف بالديار المصرية ، ثم تولى رأس نوبة كبيراً ، وعزله عن هذه الوظيفة الملك المؤيد ومسكه ونفاه إلى دمياط مدة ، ثم نقاه إلى القدس الشريف فأقام فيها مدة طويلة ، ثم لما ولى ططر السلطنة حضر معه من القدس إلى القاهرة ، وأنعم عليه الملك الأشرف بإمرة طبلخانة مدة طويلة ثم نفاه إلى دمشق وأنعم عليه بها بتقدمة ألف فاستمر بها إلى أن توفى في هذه السنة ولم يكن مشكور السيرة :

٦٣٥ - الأمير سودون الحموى^(٣) مات بدمشق في أوائل شهر ذى القعدة ، وكان أحد المقدمين الألوف بدمشق وأتابك العساكر بها ، وكان أحد الأمراء

(١) ورد في الضوء اللامع ٢ / ١٠٢٣ « أقعجا » وكذلك في فهرسته ص ٢٥٠ .

(٢) هناك أكثر من سودون الأشقر ، غير أن هذا اسمه « سودون الظاهرى برقوق » ، أما وصفه إياه في نهاية ترجمته أعلاه بأنه لم يكن مشكور السيرة فراجع إلى بخره ، هذا وقد زاد أبو الحسن على ذلك في النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٨٣ « أنه كان غير مشكور السيرة في دينه ودينه » ، انظر أيضا الضوء اللامع ٣ / ١٠٦٩ .

(٣) عاش في هذه الفترة بالذات إثنان عرف كل منهما بسودون الحموى ومات كل منهما أيضا بدمشق ، أما أحدهما فسودون الحموى النوروزى نوروز الحافظى الذى مات في حدود سنة ٨٣٠ ، وثانيهما هو المقصود في المتن أعلاه ، وقد أرسله برسبلى إلى الشام عوضا عن قانباى الحمزاوى في الأتابكية والتقدمة مما يصحح ماورد أعلاه . انظر الضوء اللامع ٣ / ١٠٥٩ ، على أنه ليس في ترجمة قانباى الحمزاوى الواردة في نفس المرجع ٦ / ٦٦١ ما يفصح عن أى القولين أصبح : أالصيرفى أم السخاوى .

بالديار المصرية فسكه الأشرف وحبسه مدة ثم أرسله إلى دمياط بطالا ثم أرسله إلى الشام على الإمرة ، وأنعم السلطان بآتابكية الشام على الأمير قانباي الحمزاوى^(١) أحد المقدمين الألوف بها :

٦٣٦ — قاضى القضاة وشيخ الإسلام الإمام العالم الفاضل شمس الدين محمد بن جمال الدين عبد الله بن أبي الخير سعد الديري الحنفى الشهير بابن الديري ، توفى ليلة عرفة التاسع من ذى الحجة ودفن ببيت المقدس وكان عمره يوم توفى قريبا من تسعين سنة^(٢) ، وكان ممتعا بحواسه عالما فاضلا كاملا رأسا في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة رضى الله عنه ، متخلقا بأخلاق أهل التصوف : أدرك علماء كثيرة في مصر والشام وبيت المقدس ، وعاشر جماعة من الصالحاء الأخيار وذلك لأن بيت المقدس محط رحالهم وغاية مقصودهم وآمالهم ، ولما مات قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحلبي الحنفى بالديار المصرية في التاريخ الذى ذكرناه طلبه السلطان الملك المؤيد شيخ إلى الديار المصرية فقدم يوم الأربعاء الثالث عشر من جمادى الأول سنة تسع عشرة وثمان مائة ، وفي يوم

(١) راجع عنه السخاوى : التبر المسبوك ، ص ٩٦ ، ١٩٦ ، ٢١٠ ، ٢٥٢ ،

Van Berchem: *Materiaux.... Egypte*, t. I, p. 224; Sobernheim: *Materiaux.... Syrié*, p. 68.

(٢) إذا أخذنا برواية النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٨٤ التى جعلت مولده سنة ٧٤٤ لله مات وقد بلغ الثالثة والثمانين من العمر ، كما أن شذرات الذهب ، ج ٧ ص ١٨٢ ترددت بين عامى ٧٤٢ ، ٧٤٣ مالا يهدل كثير فى تقدير عمره يوم وفاته ، أنظر أيضا السيوطى : حمن المحاضرة ج ٢ ص ١١١ وابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٢ ص ١٣٢٧ .

(٣) كانت وفاته سنة ٨١٩ ، راجع الصيرفى : نزعة النفوس والأبدان ، ج ٢ ص ٣٧٣ ترجمة رقم ٥٤١ ، وإنهاء العمر ، ج ٢ ص ١١٨ ترجمة رقم ٣٩ ، والنجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٤٥٥ ، ٧٨٥ ، وحسن المحاضرة ، ج ٢ ص ١١١ .

الإثنين السابع عشر منه خلع عليه واستقر قاضى القضاة الحنفية بالديار المصرية عوضاً عن القاضى ناصر الدين بن العديم بحكم وفاته ، واستمر قاضياً إلى أن تولى مشيخة الشيوخ بالمدرسة المؤيدية المستجدة بجوار باب زويلة ، وخلع عليه يوم الجمعة الحادى والعشرين من شوال سنة اثنين وعشرين وثمان مائة ، ولم يزل يباشر وظيفته فى المدرسة [١٢٠] المذكورة إلى أن استأذن السلطان فى توجّهه إلى القدس الشريف فى شهر شعبان من هذه السنة لإجل ضعف حصل له ، ورام أن ينتقل بالوفاة إلى رحمة الله تعالى ببيت المقدس الشريف أو يطيب به لصحة هواه فإنه يوافق مزاجه ، فأذن له فى ذلك فتوجه إلى القدس الشريف فأقام به إلى أن أدركته المنية فى التاريخ المذكور :

٦٣٧ - السلطان الملك الناصر أحمد بن السلطان الملك الأشرف إسماعيل ابن السلطان الملك الأفضل عباس بن الملك المجاهد على بن الملك المؤيد داود ابن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن رسول التركمانى .

تولى الناصر السلطنة^(١) باليمن بعد وفاة أبيه فى سنة ثلاث وثمان مائة ، فدة سلطنته أربع وعشرون سنة^(٢) ، وكان ردى السيرة جداً ولم يعرف له إلا ظلم وفسق كذا ذكره شيخنا العيني رحمه الله فى تاريخه :

تولى بعده ولده عبد الله ويلقب بالملك المنصور وأظهر العدل والإحسان إلى الرعية وفرح الناس به ودعوا له لما ذاقوه من ظلم أبيه وجوره وفسقه.

(١) عدت النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٨٤ المدن الداخلة فى حكمه فكان من بينها زيد وتغز وعدن والمهجم وحرش وجبل والمنصورة والمهال وأجدة والدولة وقوارير والشحر .

(٢) فى الأصل « أربعة » .

(٣) لم يحزم السخاوى فى الضوء اللامع ٥ / ١٢ بتحديد سنة وفاته وإن جعلها عام ٨٢٠ بناء على ما ذكره له بعض الثقات من أصحابه ، وقد اعتبر ابن حجر هذه السنة هى سنة موته فأدرجه فى وفياتها ، أنظر إنباء الفرج ٣ ص ٣٨٨ ترجمة رقم ٨ .

٦٣٨ - الست المصونة المحجة خوند فاطمة بنت قعجا زوجة السلطان^(١)
الملك الأشرف برسباي ، توفيت ليلة الأحد الخامس عشر من جمادى الآخرة
من هذه السنة ودفنت في المدرسة الأشرفية المستجدة بجوار العنبرانيين ،
وحضر جنازتها جميع الأعيان ، كيف لا وهي زوجة ملكهم وحاكمهم ،
ومشى الخليفة والقضاة والأمراء والحكام والأجناد وسائر من في البلد
ولم يتخلف أحد منهم ، وصلى عليها في باب الستارة ، ومشى من ذكرناهم من
الأعيان في خدمتها إلى أن دفنوها في صبيحة يوم الأحد .

وكانت متضعفة مدة طويلة ، وأما ترجمتها فهي دينة تسعى في الحيرات
عند السلطان للناس ، وتأسف السلطان عليها وحزها حزناً شديداً وأكثر
الترحم عليها ، ومن حين وضعها في قبرها شرع القراء في قراءة القرآن
وعمل المدة في المطبخ إلى صبيحة يوم الجمعة ، فجملة ذلك ستة أيام :

* * *

(١) الإضافة من النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٧٨٤ ، على أنها واردة في الضوء اللامع ج ٢ ص ٩٩
ترجمة رقم ٦٢٢ باسم « فاطمة بنت قعجار » ، وقال السخاوي في ذلك « تسمى العيني أباهاتجا »
كما أشار إلى أنه أورد وفاتها في جمادى الأولى ، وعقب على ذلك بقوله « والله أعلم » .

فصل

فيما وقع من الحوادث

في السنة الثامنة والعشرين بعد الثمان مائة

استهلت هذه السنة المباركة وأولها يوم الخميس المبارك :

وخليفة الوقت المعتضد بالله داود العباسي ، وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الأشرف أبو النصر برسباي وليس له نائب في الديار المصرية ، وأتابك العساكر بالديار المصرية الأمير قبحق العيساوي ، وأمين سلاح الأمير إينال النوروزي ، وأمير مجلس الأمير إينال الحكيم ، وأمير آخور كبير الأمير جقمق أخو المصارع ، ورأس نوبة كبير الأمير تغري بردى الحمودي ، والدوا دار الكبير الأمير أربك :

وأستادار العالية الأمير صلاح الدين بن نصر الله ، ووالده القاضي بدر الدين بن نصر الله ناظر الخاص ، والوزير القاضي كريم الدين بن كاتب المتاخ ، وناظر الجيش القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل الشامي ، والقاضي الشافعي شمس الدين المروى ، والحنفي زين الدين التفهني ، والقاضي المالكي شمس الدين البساطي ، والحنبلي علاء الدين بن مغلى الحموي ، ومحتسب القاهرة القاضي بدر الدين محمود العيني الحنفي ، ووالى القاهرة التاج الشويكي :

ونائب الإسكندرية الأمير آقبا الغمرازي ، ونائب غزة الأمير تماراز
[المؤيدى الخازندار] ، ونائب صفد الأمير مقبل ، ونائب حلب الأمير
جار قطلو ؛

وقاضى القضاة الشافعية بدمشق السيد الشريف علاء الدين ، والقاضى
الحنفى شهاب الدين بن الكشك ، والقاضى المالكى شمس الدين الأموى ،
والقاضى الحنبلى بن الحبال الطرابلسى ، وكاتب السر بدر الدين حسن وهو
ناظر الجيش .

والقاضى الشافعى بحلب علاء الدين بن خطيب الناصرية والقاضى الحنبلى
شمس الدين بن خازوق وكاتب السر ناصر الدين بن السفاح :

وصاحب بلاد قرمان الأمير إبراهيم بن الأمير محمد باك بن قرمان
وصاحب الأجات - وكرسيا مدينة برسا - الأمير مراد باك بن كرسجى
واسمه محمد باك ، وصاحب مدينة تبريز الأمير إسكندر بن الأمير قرايوسف
وصاحب بغداد الأمير محمد شاه بن الأمير قرايوسف ، وصاحب بلاد
العجم وسمرقند وتلك البلاد كلها مثل شراز وهرارة وغيرها الأمير شاه رخ
بن تمرلنك :

وصاحب مكة الأمير قرقماس الشعبانى تولى عوضاً عن السيد الشريف
حسن ، وصاحب المدينة النبوية غرير ، وصاحب اليمن الملك المنصور
عبد الله بن الملك الناصر :

وأما الدست التى [١٢٠ ب] كرسيا صراى فلان فيها اختلافاً كثيراً
بسبب أن كل واحد منهم استولى على ناحية ولم يتفق الأمر لأحد .

• • •

ذكر من أنعم عليه بوظيفة ومن عزل عنها

لمّا كان يوم الإثنين الرابع والعشرين من صفر خلع على الشيخ محب الدين أحمد بن نصر^(١) الله البغدادى الحنبلى واستقر قاضى القضاة الحنابلة بالديار المصرية عوضاً عن القاضى علاء الدين على بن محمود بن مغلى الحموى بحكم وفاته رحمه الله تعالى .

وفى يوم الثلاثاء الثانى من ربيع الأول خلع جمال الدين يوسف السمرقندى^(٢) واستقر قاضى القضاة الحنفية بمدينة حلب عوضاً عن القاضى شمس الدين بن أمين الدولة الحلبي بحكم عزله ، وكان جمال الدين هذا قد قدم من البلاد الحلبية فى أيام الملك المؤيد إلى القاهرة واعتنى به الملك الظاهر ططر وتعصب له وسقّره إلى الحجاز الشريف ، ولما عاد أنعم عليه ببعض وظائف من التدريس والأنظار بمدينة حلب وسافر إليها وأقام بها إلى أن قدم القاهرة فى أول هذه السنة ، وذلك لأنه وقع بينه وبين القاضى المذكور بسبب المدرسة^(٣) الشاذنجية التى بحلب فى سوق النشاب غوغاء ووثبوا عليه وأرادوا أن يتعصبوا عليه وشكوه إلى النائب فساد خفية ، وقدم إلى القاهرة وتمثل لدى الملك الأشرف وأخبره بصورة الحال فعند ذلك

(١) انظر ابن حجر إنباء الدرر ، ج ٤ ترجمة رقم ٥ وفيات سنة ٨٤٤ ، والسيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٢٢٣ ، ج ٢ ص ١١٣ ، وأبو الحسن : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١١٤ ، ٢٧١ ، وابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٢ ص ٢٠ .
(٢) انظر فيما بعد ص ١٠٧ ، ترجمة رقم ٦٤٠ ، والقصود اللامع ١٠ / ١٢٨٨ ، وإعلام النبلاء ، ج ٥ ص ١٨٠ .

(٣) المدرسة الشاذنجية من المدارس الكبرى بحلب .

أمر السلطان بطلب ابن أمين الدولة فحضر إلى القاهرة بناء على أن ينتصر على غريمه ويعود إلى حلب على عادته ووظيفته ، فلم يتفق ذلك مع مساعدة بعض المباشرين له وسافر بطالا ، واستقر جمال الدين يوسف المذكور قاضياً عوضه .

وفي يوم السبت العاشر من جمادى الأول خلع على القاضي بدر الدين حسن بن نصر الله واستقر أستاذار العالية عوضاً عن ولده صلاح الدين محمد بحكم عزله لعجزه عن سد الوظيفة .

وفي يوم الاثنين الثاني عشر من جمادى الأولى خلع على كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة بن كاتب^(١) جكم واستقر ناظر الخواص الشريفة عوضاً عن بدر الدين حسن بن نصر الله بحكم عزله وإبقائه على وظيفته الأستاذارية ، ثم في يوم الثلاثاء الثامن من رمضان المعظم رسم السلطان بمسك القاضي بدر الدين حسن بن نصر الله المذكور وتعويقه فسك وعوق وطلب ابنه صلاح الدين من بيته وعوق ، وطلب منهما أموال حمة وهددا بالقتل والعذاب ، وأخر أمرهما استقر الطلب منهما ثلاثين ألف دينار، ثم بعد يومين أو ثلاثة أطلق سبيل بدر الدين [حسن بن نصر الله] وعوق ولده بالقلعة على أن يتولى بدر الدين ويدولب ويحمل الأموال ، فلما نزل شرع في بيع موجوده من الأملاك والدور وغيرها ، ثم أطلق ولده صلاح الدين أيضاً واستقرا في بيتهما بطالين ؛ وكان بدر الدين المذكور قد نزل إلى الجامع الأزهر يوم الأربعاء العاشر من شعبان وادعى أنه استعفى عن وظيفته .

(١) انظر ترجمته في إلباء النمر، ج ٣ ص ٤٤٧ رقم ٢٤، والنجوم الزاهرة، ج ٦ ص ٨٠٩ .

وفي يوم الخميس الحادى عشر من شعبان طلبه السلطان فطلع إليه ونخلع عليه خلعة هائلة .

وفي يوم السبت التاسع من جمادى الآخرة^(١) مسك السلطان نجم الدين بن حجي كاتب السر الشريف بالديار المصرية وبمجنه ببرج قلعة الجبل لمسا باغه عنه من كلام صدر منه ، ونزلت الخوطة على داره :

وفي ليلة الثلاثاء الثانى عشر من جمادى الأولى أمر السلطان بإطلاق نجم الدين المذكور من البرج ونفيه إلى دمشق في باشة وجنيزير على هذه الهيئة .

وفي الثلث الأول من الليل ذهبوا به على هذه الهيئة إلى أن وصل غزة وقيل إلى الرملة ، ثم وقعت فيه الشفاعة أن يتوجه إلى دمشق في هذه الهيئة البشعة ولكن بعد أن قرر عليه جملة من الذهب :

وفي يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الآخرة خلع على بدر الدين محمد بن مزهر ناظر الإصطبلات الشريفة ونائب كاتب السر الشريف واستقر كاتب السر الشريف عوضاً عن نجم الدين بن حجي بحكم عزله ونفيه إلى الشام :

وفي يوم الإثنين الثالث من رجب نخلع على سيدنا ومولانا وشيخنا شيخ الإسلام ، ونادرة الليالى والأيام ، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى واستقر في قضاء الشافعية بالديار المصرية عوضاً عن القاضى شمس الدين الهروى بحكم عزله .

(١) في الأصل « جمادى الأولى » ، وقد أثبت ما بالمتن بعد مراجعة النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص

٨٥٥ حيث بين أسهاب فضيب السلطان عليه .

وفي يوم الإثنين الرابع عشر من رمضان خلع على جماد الدين الطرابلسي الذي كان تولى كتابة السر الشريف بالقاهرة [١٢١ أ] عوضاً عن علم الدين ابن الكوايز واستقر في كتابة السر بدمشق المحروسة عوضاً عن القاضي بدر الدين حسن الذي كان جمع بين كتابة السر ونظر الجيش بحكم عزله عن كتابة السر واستمراره بالجيش .

وفي يوم السبت السادس عشر من ذي القعدة برز المرسوم الشريف للأمير أزدمر شاية أحد المقدمين بالديار المصرية أن يلزم بيته وذلك لأنه كل وقت كان يقول : « السلطان أنعم عليّ بنبابة في بلد من البلاد فإن هوا هذه البلدة لا يوافقني » :

فاستمر بطالا وندم على ما قاله ، ثم بعد ذلك بمدة يسيرة رق عليه السلطان وأعاد له إقطاعه واستمر به على عادته ، وأرسل إليه الأمير ياقوت مقدم الممالك السلطانية يبشره بذلك ورسم له أن يتوجه صحبة كاشف الصعيد لمساعدته على إرداع المفسدين وإزاحة الفساد من الظالمين ، فخلع على مقدم الممالك خلعة مخمل بسمور .

* * *

ذكر أسعار هذا العام

الذهب المهرجة وصل إلى مائتين وسبعين المثقال بالفلوس ، وأما الأفلورى فإنه ظل على حاله مائتين وخمسة وعشرين ، وأما الفلوس فإنها قلت جداً حتى إن الشخص يدور بدرهم من الفضة ليصرفه فما يجد به فلوساً ، والرطل منها بسبعة دراهم ، فنأدى السلطان عليها بلئى عشر درهماً فاستمرت على ذلك مع قلتها .

وأما الحديد فإنه عز جداً ، وبلغ الرطل المعمول منه إلى عشرين درهماً ووصلت التطبيقة من النعال إلى سبعين درهماً فلوساً ، وأما النحاس المعمول فوصل الرطل منه إلى أزيد من ثلاثين درهماً .

وأما أنواع القماش فقلت جداً حتى وصل الثوب البعلبكي الرفيع أكثر من عشرة أفلورية . وأما أنواع الفراء فكل ذلك في الغلو حتى وصل كل أربعة شقات منها يعني من السنجاب الحديد سبعة عشر درهماً وثمانية عشر شخصاً .

وأما أنواع الحبوب فقلت جداً حتى بلغ الإردب من القمح في شهر ذي القعدة وشهر ذي الحجة إلى قريب ثلاث مائة درهم فلوساً ، وكذلك بلغ الإردب من الفول إلى ثلاثمائة درهم ، والإردب من الشعير إلى مائتين وثمانين درهماً ، ولم يعهد مثل هذا في الديار المصرية في الزمان القريب ، وبلغ بندر البرسيم الإردب منه إلى ألف ومائتين درهماً فلوساً ، وهذا أيضاً لم يعهد قبل ذلك .

وأما الرطل من الخبز فبيع بدرهم ونصف :

وأما الأجبان فعزت جداً لأجل غلو العاف ، وبلغ الرطل من الجبن المقل إلى أربعة عشر درهماً والشريحة هكذا ، والأزرار بتسعة ، والخالوم بإثنى عشر . وأما اللبن فكل رطل بثلاثة دراهم فلوساً . والعسل نحل المصري إلى قريب من عشرين درهماً لعدم فلاح النحل في هذه السنة .

ووصل السيرج إلى ثلاثة عشر درهماً كل رطل ، والزيت الطيب [إلى] إثنى عشر ، والسمن ثمانية عشر درهماً .

ووصل القدح من الأرز إلى تسعة دراهم ، وبانغت البطة من الدقيق إلى تسعين درهماً بالفلوس ، وهى خمسون رطلاً بالمصرى .

وكذلك زادت الأسعار فى الحبوب فى سائر البلاد الشامية لا سيما بلاد غزة والرملة وبيت المقدس . ووصلت الغرارة الشامية وهى ثلاثة أرباب بالمصرى أكثر من عشرين ديناراً وكان السبب لغلو هذه الحبوب فى هذه البلاد ظهور الفأر المتجاوز عن الحد ، فحكى أهلها عن الفأر أشياء غريبة من كثرتها وغلبتها على الحبوب ، وحكى جماعة من أهل البلاد أنهم وجدوا القتران على وجه الأرض مثل السواد العظيم مقطعة الآذان والأيدى والأرجل والجراحات الظاهرة فيها ، وذلك لما وقع بينهم من الحرب بين الطائفتين من الآدميين .

* * *

ذكر بقية الحوادث فى هذه السنة

لما كان يوم الثلاثاء الحادى عشر من صفر نزل السلطان الملك الأشرف إلى البحر ونظر إلى الأغربة^(٢) التى أمر بعمارها ثم التفت من هناك إلى ناحية

(١) فى الأصل « مقطعون » .

(٢) الأغربة جمع غراب وهو نوع من السفن الحربية التى كانت تستعمل فى المادة فى البحر الأبيض المتوسط منذ أيام الإمبراطورية الرومانية ، والأرجح أن هذا النوع من السفن سمى بهذا الاسم نظراً لمشابهته لهذا الطائر من حيث السواد لطلاتها بالقار والزفت ، كذلك لاستواء مناقيرها على حشد قول النورى فى مخطوطته الإعلام بما جرت به الأحكام المقضية فى وقعة الإسكندرية . وتختلف الأغربة بعضها عن بعض من حيث الحجم ما بين صغيرة وكبيرة وذلك لعدد مجاديفها التى تتراوح ما بين عشرة ومائة وثمانين مجداً ، ولنا أن تصور عدد من يكون بالواحد منها من المقاتلة ، ويستفاد ذلك من كتاب الأحكام المملوكية لابن منكل بقا .

جزيرة الفيل ، وذهب منها إلى منية السبرج^(١) ثم منها إلى البرج وطلع إليه فأعجبه
لعجبا زائدا ولم يكن رآه قبل ذلك ، ثم عاد منه وطلع إلى القلعة .

وفي يوم الثلاثاء التاسع من ربيع الأول على السلطان إلى ذلك البر فنزل
بناحية أوسيم^(٢) وهو في دست المملكة وأقام هناك قريبا من عشرة أيام [١٢١ ب]
ثم عاد وطلع إلى القلعة :

وفي يوم الخميس السادس عشر من ربيع الآخر قدم الأمير سودون^(٣)
من عبد الرحمن كافل المملكة الشامية إلى القاهرة وتمثل لدى المقام الشريف ،
وكان الأمراء والرؤس النوب وغالب الخاصكية استقبلوه من بلبس ومن^(٤)
الخانقاه بسرياقوس ، وبات عنده بالخانقاه المذكورة الأمير يشبك الساق^(٥)

(١) منية السبرج وقد تعرف أيضا بمنية الشبرج ، وتقع على مقربة من القاهرة في الطريق الواصل
بينها وبين الإسكندرية ، وكان اسمها في الأصل منية الأمراء ، وتعددت إلى جانب ذلك أسماءها عند
الجغرافيين ؛ فهي عند المقدسي تسمى بالميتين (يعنى بذلك منية الشبرج نونية الاصبع) وهي عند
المقريزي في خطه وفي التحفة والانتصار « منية الأمراء » . وترجع شهرتها بمنية السبرج لكثرة
معاصر السمسم الذي يستخرج منه زيت السبرج ، انظر في ذلك كله محمد رمزي ؛ القاموس الجغرافي ،
ق ٢ ج ١ ص ١٤ - ١٥ .

(٢) أوسيم من البلاد المصرية القديمة الواقعة بمركز إمبابة على حدود القاهرة ، وكانت تنزها
ومصيدا للسلطين في العصر المملوكي ، انظر القاموس الجغرافي ، ق ٢ ج ٣ ص ٥٧ .

(٣) الوارد في النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٤ أن الخميس هو السابع عشر من شهر ربيع
الآخر ، وهو يفتق مع ما ورد في التوقيقات الإلهامية ص ٤١٤ من أن أول الشهر هو الثلاثاء .

(٤) بلبس من المدن المصرية القديمة ، وكانت قصبة الخوف الشرق أيام الفتح العربي لمصر
ثم صارت قاعدة لأعمال الشرقية من أيام الدولة الفاطمية إلى نهاية حكم الجراكسة ، وكان يمر بها
المسافر إلى الرملة وبلاد الشام ، انظر في ذلك القاموس الجغرافي ، ق ٢ ج ١ ص ١٠١ .

(٥) هو يشبك الساق الظاهري برقوق ويعرف بالأعرج ، وقد قدمه الأشرف برسباي سنة ٨٢٥
وسكن طبقه الزمام بالقلعة ، وكان موته سنة ٨٣١ رقم راجع فيما بعد ترجمة ٦٦١ ص ١٤٠ ، انظر
لمهاه الغمر ، ج ٣ ص ٤١٧ ترجمة رقم ٢١ ، والنجوم الزاهرة ج ٦ ص ٨٣١ ، والنسوة اللامع
١٠٨٨ / ١٠ ، وانظر أيضا Wiet: Les Biographies du Manhal, No. 2652.

والأمير أربك الدوادار الكبير ، ومن جملة الذين استقبلوه المقام الناصري
سيسى محمد ولد السلطان الملك الأشرف برسبای وفي خدمته الأمير
جانی بك الدوادار الثاني ، وجهاز صحبته ولده المذكور كاملية غمسل
بسمور إليه .

ولما تمثل بين يدي السلطان خلع عليه أطلسين وطرارز ذهب يلبغاوى
وفرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش ، ثم ترادفت عليه التقادم من الخيول
والقماش من الأمراء وأرباب الدولة : وأقام بالقاهرة إلى أن سافر يوم
السبت السابع والعشرين من الشهر المذكور .

وفي يوم الخميس الخامس والعشرين من ربيع الآخر قدمت رسل من
عند الأمير قرايلوك التركمانى .

وفي يوم الإثنين العاشر من شهر رجب داروا بالحمل الشريف وإنما
استعجلوا به عن عادته لأجل الأغربة التي صنعت برسم الغزاة :

* * *

وفي يوم الإثنين الخامس والعشرين من ذى القعدة لعب شخص من
المماليك يسمى يشبك على الحبل من الأشرفية إلى مثدنة السلطان حسن ،
فحضر السلطان من القصر وجميع الأمراء وتفرجوا عليه وأبدى صنائع جمعة
ورمى بالمكحلة ورمى قوس الرجل ، كل ذلك وهو فوق الحبل وكان له
يوم مشهود^(١) : وأنعم عليه السلطان بمال من الخزانة وأركبه فرساً^(٢) كامل العدة
وخلع عليه خلعة بطرازين ، وأحسن إليه الأمراء أيضاً .

(١) في الأصل « يوما مشهودا » .

(٢) في الأصل « فرس » .

وهذا المملوك أصله من الجراكسة ثم وقع عند صاحب قبرص فأقام عنده مدة على دينهم ، ثم وفقه الله تعالى وهاجر إلى الديار الإسلامية فأسلم عند السلطان الملك الأشرف وأنزله في جملة الماليك ، ورتب له الإجماع واللاحم والعليق والكسوة والأضحية ؛ وكان حضوره إلى القاهرة في هذه السنة .

* * *

وفي يوم السبت الثاني والعشرين من ذى الحجة قدم إلى القاهرة يشبك النوروزى من عند الأمير تغرى بردى المحمودى أمير الحاج من مكة المشرفة وأخبر أن الشريف حسن بن عجلان الذى كان صاحب مكة أطاع السلطان وحضر إلى خلعة أمير الحاج وتجهز للحضور بين يلى المقام الشريف وعن قريب يصل للقاهرة ، فخلع عليه السلطان خلعة ؛ وكان حضوره من مكة قبل وقوفه بعرفات .

وفي يوم السبت التاسع والعشرين من ذى الحجة وصل مبشر الحاج المسى خشكلى الخاصكى وأخبر بسلامة الحاج وأن الأزواد كبيرة والمياه كذلك وأنهم وقفوا يوم الإثنين وكان العيد يوم الثلاثاء ، والعيد كان فى القاهرة يوم الإثنين .

* * *

(١) يفهم من سياق هذه العبارة أن الذى حضر إلى خدمة أمير الحاج هو الأمير حسن بن عجلان ، لكن أبا الحسن ينص صراحة فى النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٥٩٥ على أن الذى قدم إنما هو بركات بن حسن بن عجلان حتى إذا استوثق بالإيمان على سلامة أبيه قدم أبوه إلى مكة ووعد بالمضى إلى القاهرة واستخلف ولده بركات فى غيبته .

(٢) الوارد فى جدول السنين بالتوقيعات الإلهامية ، ص ٤١٤ ، أن الأحد كان أول ذى الحجة سنة ٨٢٨ .

ومما وقع من الحوادث في البلاد أن الأمير حسن بن الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير خليل بن الأمير زين الدين قراجا بن ذلغادر الذي هو نائب والده في قيسارية الروم جمع طائفة من التركمان ومشوا إلى ناحية مدينة تكروه من بلاد ابن قرمان فأغاروا عليها وأخذوا منها شيئاً كبيراً ، ثم عادوا منها ونزلوا في موضع قريب من بلدة تسمى دوالو ليقسموا ما حصل معهم وكان قد اجتمع عسكر قصرای وخلق من مدينة تكروه ومن تلك البلاد فساروا إليهم وكبسوهم على غرة ، وأخذوا منهم جميع ما أخذوه ، وقتلوا منهم عشرة أنفس وأسروا منهم قريباً من مائتي نفس ، قتل منهم الأمير حسن المذكور ، وكان ذلك في أول هذه السنة .

* * *

ومما وقع من الحوادث أن عساكر حلب خرجوا في طلب تركمان ابن الأمير رمضان كبير التركمان لأجل القتال وذلك لوقوع الحرب بينهم وبين تركمان بن الأمير أدر ، ثم إن السلطان أمدهم بعسكر الشام فخرج الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام ومعه عسكر دمشق ووصلوا إلى حلب .

ومنها أن السلطان رسم للأمير برد بك أمير آخور ثانی والد نخدومنا الزينى فرج أمير حاجب الذى قدمنا ذكره أن يسافر ومعه أربعون هجيناً إلى نخل التي هي أحد منازل الحج من القاهرة وعقبة أيلأ ، وسبب ذلك أن أبا بكر [١٢٢ أ] التبريزي قدم إلى القاهرة وأخبر أن الأمير مقبل صاحب

يُنِيعُ الذي كان قدّم إلى خدمة السلطان الملك الأشرف - ثمّ تسحب في التاريخ الذي ذكرناه - قد ندم على ما فعل وهو في نخل ، فتجهز الأمير برد بك المذكور ليلة السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة وسافر فظفر به في التيه واحتاط عليه وعلى من معه وحضر بهم إلى القاهرة ، بعد أن أوقع في مقبل باشة وجنزيراً ، فحين تمثّل بين يدي المواقف الشريفة أمر بسجنه في البرج بقلعة الجبل بالقاهرة ، ثمّ رسم بنقله إلى حبس إسكندرية ، وكان قدومه في يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة .

* * *

ذكر قصة غزوة قبرس في هذا العام

وذكر الغزوتين الماضيتين

وكان السبب في ذلك أنه لما حصل بالإسكندرية ما حصل في أيام يلغا العمرى وآقبغا الترازى من الفرنج وقد ذكرنا تاريخه فيما مضى ، وقيل إن الفرنج أظهروا الفساد في البحر وصاروا يأخذون المسلمين من المراكب الآتية من الشام إلى دمياط وإسكندرية ويأسروهم^(١) ، فلما بلغ السلطان - نصره الله - ذلك شق عليه وغمه وهمه ، فحمله ذلك إلى أن أمر بتجهيز الأغربة فجهزت وجهاز فيها آلاتها من سائر الأنواع لأجل أخذ قبرس ، وأصرف^(٢) عليها من الأموال جانباً نفيساً وشحنّت بالعدة والعدد والرجال والأبطال وكانت غزوة قبرص ثلاث غزوات .

(١) في الأصل « ويأسروهم » .

(٢) أي صرف عليها .

الأولى كانت في السنة الماضية أعني سنة سبع وعشرين وثمان مائة
وهي الغزوة الصغرى ، وكان الملك الأشرف عين لها سبعين^(١) مملوكاً من
المماليك السلطانية ، وكبيرهم مملوكان أحدهما يقال له يشبك الحرون والآخر
يقال له إياس الطويل وانضم إليه آخرون من الرجال في خمسة مراكب ،
وكان خروجهم من القاهرة في التاسع من رمضان من سنة سبع وعشرين
وثمان مائة ، فلما ركبوا وأقلعوا وساروا وصلوا إلى بيروت ثم إلى طرابلس
وأقاموا في السواحل أياماً ثم ساروا نحو الجزيرة فوصلوا إلى ملسون ونهبوا
قرى من السواحل وأسروا نحو الثلاثة عشر نفرأ وعادوا سالمين ومعهم
بعض جوخ وقطن وآلات بيوت ونحو ذلك ، وكانت هذه الغزوة سبباً
للغزوتين اللتين حصلتا بعدها ، فلما حضروا قدموا غنائمهم بين يدي السلطان
فتصرف فيها على قاعدة الشرع الشريف . هذا معنى ما ذكره شيخنا البدر
العيني في تاريخه .

والثانية في هذه السنة أعني سنة ثمان وعشرين وثمان مائة .

وفي يوم الخميس الثالث عشر من رجب من هذه السنة أنفق السلطان
على العسكر الذي عندهم لقبرس وهم من الأمراء المقدمين الأمير شرباش
قاشوق حاجب الحجاب بالديار المصرية والأمير قرا مراد خجا من الطبلخانات ،
ومن الطبلخانات الأمير يشبك شاد الشراب خاناة انشريفة والأمير قانصوه ،
ومن العشرقات والعشرات الأمير شيخ رأس نوبة والأمير آقبا الناصري

(١) في الأصل « سبعون » ، على أنه ورد في النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ٨٠ أنه خرج غرابان
فيهما من المماليك السلطانية ثمانون نفرأ غير المطوعة .

(٢) في الأصل « ثمانية » .

والأمير كمشبغا الأحمدي ، ومن المالك السلطانية ما يقارب أربعائة نفر ،
ومن كل مقدم ألف عشرة أنفار ، ومن الطلبة خانات نفران خارجاً عما
استخدمهم السلطان من البطالين ، وهم جمع كبير :
وأما النوطية^(١) وأصحاب آلات الحرب من الرماة ونحو ذلك فعدد له
جرم زائد ، واستمروا مسافرين من القاهرة إلى آخر يوم الخميس السابع
والعشرين من رجب فكان سفرهم من القاهرة إلى دمياط أربعة عشر يوماً ،
وكان ركوبهم البحر من ثغر دمياط يوم السبت العشرين من شعبان من
هذه السنة .

فلما ركبوا وأقلعوا متوكلين على الله تعالى وصلوا إلى بيروت يوم
الثلاثاء الثالث والعشرين من شعبان ، وسافروا من بيروت يوم السبت
الخامس من شهر رمضان ووصلوا إلى طرابلس في آخر السبت المذكور
فأقاموا في طرابلس أياماً للراحة وتجديد التجهيز ، وخدمهم الأمير خسرو
نائب طرابلس .

ثم سافروا من طرابلس يوم الإثنين الرابع عشر من شهر رمضان
ووصلوا إلى جزيرة قبرس فأرسوا في الميناء يوم الجمعة الثامن عشر
من شهر رمضان ، ثم دخلوا إلى رأس الماغوصة يوم السبت التاسع عشر
من شهر رمضان، ونزلت الخيل إلى رأس الماغوصة يوم الأحد العشرين
من رمضان فهض من المسلمين سبعة فرسان وبعض رجالة من ممالك
السلطان كشافة فالتقوا مع جماعة من الكفار من أهل قبرس زهاء ثلاث مائة

(١) النوطية هم الملاحون في السفن ، وهي مرادفة للكلمة اللاتينية Nautae بمعنى « البحارة » .

فارس ، وفيهم أخو صاحب قبرص ، فلما رأى هؤلاء قلة المسلمين طمعوا فيهم ودكسوا عليهم فعلت ألسنة المسلمين بالتكبير والتهليل والصلاة على سيدنا محمد البشير النذير ، ونهملوا عليهم وقتلوا منهم خمسة عشر فارساً وجرحوا أكثر من خمسين فارساً ، فاستشهد من المسلمين إثنان من المماليك [١٢٢ ب] السلطانية ، ورفعت أرواحهما إلى عليين ، وغنم المسلمون من أعداء الدين شيئاً كثيراً وأسروا من نسائهم وأولادهم جماعة ، ومن رجالهم أيضاً ، وأخربوا ضياعاً كثيرة ، وهدموا كنائس عدة وأحرقوها .

ثم رحلوا من الماغوصة ليلة الأربعاء الحادى والعشرين من رمضان فوصل تلك الليلة إلى البر جماعة من المماليك السلطانية مشاة واجتهدوا في طلب الأعداء ولم يلاقوا المراكب المنصورة إلا في صبيحة تلك الليلة عند رأس العجوز وصحبته ثلاثون أسيراً فحين ركبوا المراكب جاء على المسلمين ثمانى شوانى وقرقورة كبيرة وسلورتان ، فلما رآهم المسلمون كبروا

(١) في الأصل « رأوا » .

(٢) في الأصل « جاؤا » .

(٣) الشوانى جمع اختلف في مفرد ما بين شين وشانى وشينة وشونة ، وهو نوع من السفن الحربية الكبيرة ، ويستدل من بعض النصوص التاريخية على أنها كانت تصنع بمصر وتسير في النيل ومنها إلى البحر الأبيض المتوسط ، وما جاء في تلج العروس للزيدي أن « الشونة مركب معد للجهاد في البحر » وكانت تسير بمائة وأربعين مجدافاً ، وكانت ضخمة حتى لتقام بها الأبراج ومنها يرمى النقط كما جاء في قول ابن حمد يس :

رمى ببرج إن ظهرت لعدو مخزقة بطنا
وبنقط أبيض تحسبه مساء وبه تذكى السكنا

وما جاء في آثار الأول ، ص ١٩٧ ، أن الشوانى كانت تجهز بما يقال له اللجام ، وهو « حديدة طويلة محددة الرأس جدا وأسفلها مجوف كستان الريح » يدخل عند الحرب في أسطام المركب ، وهو الخشبة التي في مقدم الشينى ، وقد يتأخرون به قليلاً ثم يقدفون به قذفة واحدة قوية فينطح المركب فيحرقه ، وإذا قرب الشينى من آخر خرج منه كلاليب كبار من الحديد ذات سلاسل معقودة =

وهلّلوا وصلّوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن عظم ضجيجهم جاوبهم
صلى البر والبحر ثم حملوا على الكفار بهم عالية وقلوب صافية وألسن
ذاكرة ، فلطف الله بهم حتى هزموا القرقورة والسلورين ، ووقفت
الشواني مجبهة للقتال وقاتلهم المسلمون بآلات الحرب من المدافع والمكاحل ،
ورموا^(١)هم أيضاً المسلمين بالخواخوخ وغيرها فتقدم المسلمون وقربوا منهم وهم
يكبرون ويهللون ويصلون على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، فحين
قربوا منهم انهزموا هاربين وسار المسلمون وراءهم فتخلصوا بالهروب ،
ودخل المسلمون بلادهم يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان
فوجدوا على البر فرساناً منهم مقدار ثلاثمائة فارس ، ووجدوا تلك الثمان
شواني التي هربوا التي عدتهم ثمانية ، فبرز من الممالك السلطانية نحو من
ثلاثين فارساً مشاة ، فلما رأوهم طمعوا فيهم لقلتهم وحطموا عليهم فكبر
المسلمون عند ذلك وهلّلوا وأكثروا من الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم ودخلوا في وسط هؤلاء الكفرة ، ورموا خمسة عشر فارساً منهم

= أما القرقورة أو القرقور فيرى دوزي أن اللفظ إيطالي الأصل Cericurus ، ونسب من
أحد الإخصائين في آلات الحرب وأسلحة القتال ، في مصر الملوكية وهو ابن منكل أن القراقرة عدة
أنواع ، ويشير المقرزي في الإعلام إلى أن صاحب القرقور يعرف بلغة الفرنج « كبطان » أي
CAPTAIN وكاتبه يسمى « شكربات » أي Scriber ، وتسير القرقورة بثلاثة قلاع تسمى بنقطة
وأزدموت ووركاكوا .

أما السلورة - وتعرف أيضاً بالسلارية - فكان عدد مجاديلها حسب ما يذكره ابن منكل يتراوح
بين ١٦ ، ٢٤ مجداً ، ويشير المقرزي أن السلورة كانت من سفن البحر الملح مما يتفق وما هو
وارد في المتن أعلاه .

(١) في الأصل « مجتهدين » .

(٢) في الأصل « أرموا » .

وجرحوا منهم نحو ستين فارساً ، فعند ذلك انهزم أعداء الدين وكسرت
شوانيهم وقطع دابر الذين كفروا والحمد لله رب العالمين ، ونهض المسلمون
فأنحربوا الملاحه وجميع ضياعها وكنائسها وأطلقوا فيها النار ، وضبطوا
الأسارى الذين أسروهم من عند رأس المساغوصه فوصل عددهم أربعمائه
واثنين وتسعين أسيراً :

وبينا المسلمون في تخريب ديار الكفرة وتحصيلهم إذا بشخص قد حضر
وصحبته ثلاث عجلات عليها زرد خاناه وقد أرسلها صاحب قبرص إلى
الملاحه تقوية لأهلها ومساعدة لهم على قتال المسلمين ، فأخذها المسلمون
ووجدوا ذلك الشخص الذى معه الزرد خاناه أصله جركسياً وأسره النصارى^(١)
فصار مملوكاً لهم ، فأخلده المسلمون وسافروا من الملاحه يوم الإثنين الثامن^(٢)
والعشرين من شهر رمضان فدخلوا المسون يوم الأربعاء سلخ شهر رمضان ،
فنزل في البر منهم مقدار مائة وخمسين من المجاهدين ومعهم بعض ممالك
سلطانية ، فدخلوا برجاً هناك فيه نصارى فرموا على المسلمين فجرحوا
منهم بعض أناس كونهم غير لابسين فباتوا ليلة العيد هناك ، وأصبحوا
يوم العيد فصلوا صلاة الصبح ولبسوا وهم صارخون بالتهليل والتكبير
والصلاة على سيدنا محمد البشير النذير ، وأحاطوا بالبرج المذكور ،
وجلوا في القتال واجتهدوا فأخذوه بقدرة الله تعالى قبيل الظهر ، وصعد
السنجق السلطاني عليه مع المسلمين وقتلوا فيسه من فرسان النصارى نحواً من

(١) في الأصل « انهزموا » .

(٢) في الأصل « وأسروه » .

(٣) في الأصل « فأخلوه » .

ميتين فارساً وأسروا مائتي أسير وأحرقوا البرج وهدموه فحصل عند المسلمين بذلك من الفرح والسرور ما لا يوصف من النصر على أعداء الله ، وإعلاء كلمة الله ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ؛ وصادف هذا الفرح والسرور يوم عيد المسلمين .

ولم يكن في جزيرة قبرس برج مثل هذا البرج في التحصين وعظم العمارة .

وحضر إلى المسلمين خمسة من أسارى المسلمين كانوا في مكان يسمى « إسكية » وكانوا إثني عشر مسلماً قد أسرهم النصارى وبجبنهم هناك فاتفقوا وهربوا ، وعلم بهم أعداء الله فساروا وراءهم وأدركوا منهم سبعة أنفار فسكروهم وقيدوهم وخشبوهم وطلعوا بهم الجبل ولم يدركوا الخمسة وأعانهم الله حتى وصلوا إلى المسلمين وذكر أن إسكية للبنادقة وعندهم أسارى المسلمين .

وذكروا أيضاً أنه وصل مركب قرقورة من البنادقة ودخلت إسكية وفيها تجار يأخذون السكر وصحبهم زردخاناه جهزها صاحب البنادقة إلى صاحب قبرس عوناً له وخدمة ليدافع بها المسلمين ، وهي خمسة وعشرون صندوقاً فيها قنات ، وخمسة عشر صندوقاً فيها خوذ ، وثلاثة صناديق فيها سيوف ، وسبع مائة درع وأربعة رموس خيل دهم ، وستة سروج ، ومائة وخمسون ، حبلاً وأربعة قلع ، وإثنا عشر سرياقات قنب لأجل الشوافي .

(١) في الأصل « مائتين أسيراً » .

ثم إن المسلمين توكّلوا على الله تعالى وسافروا ليلة الثلاثاء السادس من شهر شوال فوصلوا إلى الطينة^(١) التي بالقرب من قطيا من بر المسلمين ، وكان وصولهم إلى الطينة يوم السبت عاشر شهر شوال ، [١٢٣ أ] ووصل الخبر بذلك إلى السلطان من متولى قطيا : وأخبر أيضاً في كتابه أن الأمير جانبك قد حضر أيضاً إلى الطينة وصحبته الأسرى من جزيرة قبرس ، فرسم السلطان لهم بتجهيز الملاقاة عليه الأوجاقية والمجانة ، ثم أمر السلطان القاضي كاتب السر أن يتوجه إلى المدرسة الأشرفية ويقراً الكتاب الذي وصل من الأمير شرباش قاشوق حاجب الحجاب ومقيم عسكر الغزاة على المسلمين ، فقرأ وفيه ما وقع للمسلمين مع النصارى أعداء الدين :

وكان القارئ له القاضي ناصر الدين الفاقوسى على المنبر ، واجتمع بها خلق كثير لا يحصون ، فلما سمعوا ذلك أطلقوا ألسنتهم بالتكبير والتهليل والصلاة والتسليم على سيدنا محمد البشير النذير ، وحصل من الفرح والسرور ما لا يوصف ودقت البشائر وزينت الأسواق :

وفي يوم الأحد الخامس والعشرين من شوال قدمت الأمراء والأجناد من الغزاة وسائر من وصل معهم من نغر دمياط والأسرى مصحبهم قريباً

(١) هناك مكانان في مصر يعرف كل منهما باسم « الطينة » ، أحدهما شرق بورسعيد والآخر بمركز جرجا من أعلى صعيد مصر ، أما الطينة المقصودة في كلام ابن الصيرفي فهي الأولى ، وهي من البلاد القديمة المندثرة ، وقد نعتها ياقوت في معجمه بأنها « بلدة » ، ولكن المرحوم محمد رمزي أنكر ذلك إذ تبين له بالبحث عنها أنها كانت نقطة عسكرية لحراسة الحدود ، وبها قلعة لهذا الحصن ، وتقع على بعد ٣٤ كم شرق مدينة بورسعيد ، انظر في ذلك القاموس الجغرافى ، البلاد المندثرة ج ١ ص ٨٠ .

(٢) هو ناصر الدين محمد بن حسن بن حسن بن سعيد بن محمد ويعرف بابن الفاقوسى ، وهو لقب لبعض آباءه ، وقد ولد بالقاهرة سنة ٧٦٣ واشتغل بالفقه وعلوم الحديث وليس عرقه التصوف .

من الألف نفر رجالا ونساء وأطفالا ، ومعهم الغنائم التي غنموها من جزيرة قبرس ، وطلعوا إلى السلطان في الخوش بقلعة الجبسل ، وكان يوماً عظيماً : ثم إن السلطان رسم للأمير إينال الششمانى أحد الأمراء العشرات ورعوس التوب أن يتولى بيع هؤلاء الأسرى فنزل إلى باب السلسلة وشرع في بيعهم أياماً ، وبلغ ثمنهم ثمانية عشر ألف دينار وثمانى مائة دينار ، ثم باعوا حديدًا خاصة بخمسمائة دينار ، ثم بقية الغنائم من الجوخ والصوف وأنواع القماش بما يزيد على ألف دينار :

* * *

الغزوة الثالثة :

كانت في سنة تسع وعشرين وثمانى مائة وهى الغزوة الكبرى ، وإنما ذكرناها هاهنا ليكون نظام الكلام مرتباً ولوقوع الغزوات الثلاث على نسق واحد في ثلاث سنين متوالية فنشرح ، وبالله التوفيق :

لما كان يوم الإثنين الثالث من شهر ربيع الآخر عام تسع وعشرين وثمانى مائة عين السلطان لأجل غزوة قبرس من الأمراء المقدمين أربعة أنفس ، وهم : الأمير إينال^(١) الحكيم أمير مجلس ، والأمير تغرى بردى المحمودى رأس نوبة كبسير ، والأمير قرا مراد خجاجة الشهبانى ، والأمير تغرى برمش الذى كان نائب القلعة ، ومن الطبلخانات الأمير يشبك السودوفى شاد الشراب خاناه الشريفة ، والأمير إينال الأجروود ، ومن

(١) كان هو مقدم المسكر في مراكب البحر في هذه الغزوة ، أما ندرى بردى المهدودى فكان أميرهم في البر .

العشرات جانبك السيفي ويلبغا الناصري ، والأمير تغرى بردى البكلمشى
والأمير أيتمش السودونى ، والأمير حطط البكلمشى ، والأمير أقبردى
القجماسى والأمير جلبان العمرى ، والأمير قزماى من عبيد الكريم ،
والأمير جانم المحمدى ، والأمير بينغوت الحكى رأس نوبة ، والأمير
طوخ من عبيد الرحمن رأس نوبة ، والأمير قطوقجا الإبراهيمى رأس
نوبة ، والأمير ألتنبغا من إسكندر ، والأمير يونس النوروزى ، والأمير
طوغان من غازى ، والأمير يلغا مقدم البريدية : فعلة هؤلاء الأمراء
أجمعين أحد وعشرون أميراً ، وأربعة مقدمون وإثنان طبلخانات وخمسة
عشرات ، خارجاً عن الممالك السلطانية وعدتهم ألف نفر .

وفي يوم الإثنين الثالث عشر من جمادى الآخرة من سنة تاريخه حضر
جماعة من طرابلس ودمشق وصفد وغزة لأجل الغزو صحبة العسكر المنصور
وكان لقدمهم يوم مشهود :^(١)

وفي يوم الجمعة الثانى من شهر رجب توجه الأمراء المصريون على
بركة الله وعونه :

وفي يوم السبت العاشر من شهر رجب المذكور خرج الجماعة الذين
قدموا من بلاد الشام من الأمراء والأجناد وغيرهم .

وفي الثالث والعشرين من تاريخه اجتمعت العساكر كلهم وأوسدوا
مراكبهم بالعدة والعدد والآلات والعدد والمياه العذبة والزاد من كل شىء ،
ولم يبق لهم شغل سوى الإقلاع ، وانتهى عددهم إلى خمسة آلاف ، ومن

(١) في الأصل « مشهوداً » .

(٢) في الأصل « توجهوا » .

الأنراك خاصة ما يزيد على ألفين^١، وممالك السلطان نحو ألف^٢، وممالك
الأمراء المصريين والذين جاؤا من البلاد الشامية نحو ألف^٣، وغير ذلك
من المطوعة من مصر والشام .

وفي يوم السبت الرابع والعشرين من رجب ركب^(١) العساكر بأجمعهم
وأقلعوا ولم يتأخر منهم إلا الأمير لينال الحكيم أمير مجلس ومقدم العساكر
المنصورة ، وأجمع رأى رؤساء المراكب - وهم أكثر من مائة رئيس
لمائة مركب ما بين صغير وكبير - أن الريح اليوم ما هو معتدل للسير
والإقلاع ، فلم يسمع العساكر منهم ولا التفتوا إليهم ، فعند ذلك [١٢٣ ب]
هبّت ريح عاصف وأظلم الجو واصطدمت السفن بعضها ببعض فغرقت
منها أربعة مراكب بما فيها من القماش والزاد والخيول ، غير بني آدم
فإنهم نجوا ، أحدها مركب الأمير تغرى بردى رأس نوبة ، والأخرى
مركب الأمير قرا مراد خججا ، والأخرى مركب الأمير يشبك شاد الشراب
خاناها ، والرابعة مركب عسكر طرابلس ، وحصل في هذا اليوم من
الأمور المزعجة والأحوال الصعبة ما لم يوصف ، ولكن الله عز وجل من
فضله لطف بخلقه وسلموا ونجوا إلى البر في الزوارق ، ووصل الخبر بذلك إلى
السلطان يوم الخميس سلخ شهر رجب المذكور مع الأمير حطط البكلمشي
على هجين ، فحصل عند السلطان من ذلك ألم وغم وهم ونكد ، وكذلك
المسلمون .

(١) في الأصل «ركبوا» .

وفي يوم الخميس مستهل شعبان من هذه السنة^(١) جهز السلطان الأمير شرباش قاشوق حاجب الحجاب إلى العسكر من أصحاب المراكب التي غرقت بخيرهم بين أن يتوجهوا إلى السفر أو يعودوا إلى القاهرة ، وبأمر بقية العساكر بالتوجه إلى ما هم بصدده ، ورسم لهم بعوض ما تلف وغرق ، وأرسل إليهم خمس مائة قنطار بقساط وثلاثين ألف سهم من^(٢) النشاب ، وثلاثين قرطلا وغير ذلك مما يحتاج إليه المسافرون :

وفي يوم الأربعاء آخر النهار الثالث عشر من شعبان قدم الأمير شرباش حاجب الحجاب وأخبر السلطان أنه رتب أحوال الغزاة كما برزت المراسيم الشريفة وأنهم أجمعون ركبوا المراكب وتوجهوا نحو الإسكندرية ليسافروا منها .

وفي يوم الثالث عشر من شعبان المذكور أفلعت المراكب وعزموا متوكلين على الله العزيز القدير ، رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة والتسليم على البشير النذير ، فوصلوا إلى جزيرة قبرس يوم الأربعاء السابع والعشرين من شعبان المذكور فنزلوا بحول الله وقوته وضربوا خيامهم في أرض الجزيرة ، وبعد أن أقام منهم جماعة في المراكب مستعدين متجهزين للقتال دهمهم مراكب لبعض الفرنج :

ثم إن بعض المسلمين توجهوا لقلعة لسون فوجدوها قد عمرها الفرنج أحسن مما كانت وأحصن ، وكان المسلمون قد ملكوها في الغزوة السابقة ، فعملوا لها خندقاً عظيماً ، فنصب عليها الغزاة الفرسان سلالهم وصعد عليها

(١) يعني سنة ٨٢٩ .

(٢) في الأصل « سبها » .

(٣) في الأصل « ألقم » .

بعض الفرسان الشجعان فلم يلحقوا رأس السور لقصر السلام عنه مقدار ذراع وأكثر ، فتعلق شخص منهم وطلع إليها وهو عريان من السلاح وحماه الله تعالى ببركة دين الإسلام مع أن بها ستين مقاتلاً بالعدد والأسلحة ، فخلطهم الله تعالى عن هذا الفارس ، ولما استولى عليها تبعه القوم وتكاثروا ، فعند ذلك هرب الفرنج وملك المسلمون القلعة ونصبوا عليها السنجق السلطاني وأطلقوا ألسنتهم بالتهليل والتكبير والصلاة والتسليم على سيدنا محمد البشير النذير ، وقتلوا من فيها من المقاتلة .

ووصل الخبر بذلك إلى السلطان يوم السبت السابع من شهر رمضان مع شخص يقال له جاني بك النوروزي ، وأخبر أن المسلمين وصلوا إلى جزيرة قبرس سالمين وانتصروا على الكفرة المتمردين في قلعة لمسون ، وأن صاحب قبرس حصن مدينته ، وأن عنده من الفرسان المقاتلة أثنى فارس ونحو ثمانية آلاف راجل ، وأن غالب الرعية منهم هربوا إلى الجبال المنيع ، وحضر معه خمسة من الأسرى فعرضوا على السلطان فأعرض عليهم الإسلام فأسلم منهم أربعة وامتنع واحد منهم فضربت عنقه بالرميلة ، ودقت البشائر بسبب ذلك وكان يوماً مشهوداً .

وزاد النيل في هذا اليوم المبارك عشرين إصبعا فضم الفرج إلى الفرج وتباشر الناس بالخير والظفر :

* * *

وأما الغزاة هناك فأنهم لما فتحوا قلعة لمسون شرعوا في هدمها وتخريبها .

(١) أي عرض .

(٢) في الأصل « عشرون » .

ثم في يوم السبت سلخ شهر شعبان المذكور حضر إلى ميناء اللمسون غراب مستعد مشحون بالرجال المقاتلين ومجهز بالعدد والآلات ، فبرز عند ذلك على الفور الأمير تغرى بردى المحمودى رأس نوبة وجهاز غرابه وهو فيه ، وطلب غراب الكفرة اللثام ، وتبعه آخر من المسلمين ، فلما رأوا ذلك ولوا منهزمين غلولين ، وسار إليه من البر فرسان من المسلمين مجردين منهم : أركناس العلائى وإياس الطويل ، فوجدوا [١٢٤] غراب العدو الذى انهزم منهم قد أرسى بساحل البحر ، وطلع منه جماعة إلى البر وهم مسلحون ، وأطلق فرسان المسلمين خيولهم على هؤلاء الكفرة فهزموهم ووضعوا فيهم السيوف وقتلوا منهم خمسة أنفار وقطعوا رؤوسهم وعلقوها على جدار قلعة اللمسون :

* * *

ثم بعد ذلك قصد العساكر المجاهدون التوجه من المراكب إلى ميناء الملاحة فلم يوافقهم الأمير تغرى بردى رأس نوبة ، وآخر الأمر انفقوا على أن يسير الأمير تغرى بردى بمن معه من المعينين في البحر ويكون اجتماعهم بعد ذلك بميناء الملاحة يوم الأحد مستهل شهر رمضان المعظم قدره ، ثم ساروا كلهم معلنين أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على سيدنا محمد البشير النذير من البر والبحر ، فلم يسر الأمير تغرى بردى إلا مدة يسيرة [إلا] وقد طلع عليهم طلائع الفرنج وكشافتهم وهم نحو ثلاث مائة فارس مع جمع كثير من المشاة ، فتوجه إليهم من المسلمين ثلاثون فارسا من الشجعان ومعهم بعض المشاة ، فحملوا عليهم حملة صادقة مع التوكل

(١) في الأصل « راء » .

الصادق على الله عز وجل ، وإعلانهم بالتكبير والتهليل ، والصلاة على
 البشير النذير ، فلما رأى الكفار ذلك ولوا على أعقابهم ناكسين مخلولين ،
 ولما انهزموا لم يلبثوا إلا ساعة لطيفة حتى أقبل صاحب قبرس ومعه جيشه ،
 والطلائع الذين انهزموا ومعه خلق كثير من الإفرنج من سائر البلدان :
 الكتيلان ورودس ، ومعهم أيضا تراكين استخدموهم بالمسال وجمعهم
 مقدار عشرة آلاف أو أكثر فتلاقى الجمعان ووقع الحرب وحمل الوطيس
 وقامت الحرب على ساقها من الساعة الرابعة من النهار المذكور ، والسيف
 يعمل في أبدانهم ، وأستة الرماح تطعن في أعناقهم ، ففي الحال عادت
 كثرتهم قلة ، وقوتهم ضعفا ، وأنزل الله النصر على عباده المؤمنين ومن الله
 عليهم بالظفر والفتح المبين ، وهزم الله أعداء الدين ، فقتل منهم جمع
 لا يحصون وجرح آخرون ، ولم ينج منهم إلا من تأخر أجله من علم
 المكنون ، ووقع صاحب قبرس في أيدي المسلمين ، وجرح في ثلاثة
 مواضع ، ووقع في قبضتهم كبير طائفة الكتيلان ، وقتل في المعركة أخو
 صاحب قبرس ، قتله تغرى بردى البكلمشى [المؤذي] ، وصارت الخيول
 تنحوض في دماء الكفار والمشركين .

ثم بعد ذلك تفرق المسلمون في بلادهم وقراهم فأخربوا وحرقوا وسبوا
 وغنموا وهدموا كنائس كثيرة ، ومن جملة ما هدموا وأحرقوا الموضع الذي
 كان فيه صليبيهم الأعظم الذي كانوا يعبدونه ويقصدونه من البلاد البعيدة .

ولم يزل المسلمون في ذلك اليوم في القتل والسبي والتخريب والتحريق
 إلى آخر النهار ، ثم اجتمعوا في ميناء الملاحة ووصلت المراكب التي فيها
 بقية عسكر الإسلام إلى الميناء المذكورة أيضا يوم الأربعاء من هذا الشهر

الشر يف ، ثم وصل إليهم أخبار متوالية بأن لصاحب قبرس أنخا آخر ، وأنه قد حصن الأقفيسية التي هي كرسى قبرس ، وأنه تأهب للقتال مع بقية عساكرهم ، فعند ذلك ركب الأمير تغرى بردى رأس نوبة ومعه طائفة من العسكر المنصور وتوجه لأخذ الأقفيسية ، ثم تبعه الأمير تغرى برمش مع طائفة منهم .

وأما الأمير إينال الحكيم فإنه استمر في المراكب لحفظ جانب البحر فلم يشعر إلا وقد حضر في البحر سبعة قراقر وثمانية أغربة فيها القرقورة الكبيرة التي كانت وصلت إلى نغر سكندرية ، فحين وصلوا شرعوا في القتال ، وبادر الأمير إينال الحكيم أيضاً بمن معه واشتغل بالقتال ، وأرسل قاصداً إلى الأمير تغرى بردى يعلمه بهؤلاء الواصلين ، فأدركه القاصد في أثناء الطريق وأعلمه بذلك ، فعاد الأمير تغرى برمش أحد المقدمين الألوف والأمير يشبك المشد والأمير إينال الأجروود وبقية الأمراء ومعه نحو ستين فارساً لا غير ، ووقع الحرب العظيم في البحر ، واستمر القتال إلى بكرة نهار الخميس خامس الشهر الشريف ، واجتهد الأمير إينال الحكيم بمن معه في المراكب اجتهداً عظيماً وصار منهم من يلقي نفسه على مراكب أعداء الله مع تكاثر المدافع والسهام ، وآخر ذا من الله تعالى بالنصر للمسلمين على الكافرين ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ، فهزموهم بإذن الله وقتلوا منهم من أول القتال إلى آخر الانفصال مائة وأحدا [١٢٤ ب] وسبعين نفراً ، وانهزمت البقية منهم وولوا مدبرين ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين :

وأما الأمير تغرى بردى رأس نوبة فإنه توجه بمن معه إلى الأقفيسية كرسى صاحب قبرس وفتحها بكرة يوم الخميس خامس الشهر الشريف

ودخل فيها ونزل بالقصر الذى هو مستقر صاحب قبرس، ثم أشهر النداء فى مدينة قبرس بالأمان والاطمئنان، وأنها صارت من جملة مدن السلطان الملك الأشرف :

واتفق أعيان أهل قبرس وتجارها أن يجمعوا من بينهم مالا ويقدموه للسلطان بسبب مناداة الأمان لهم، وحضروا إلى خلعة الأمير تغرى بردى رأس نوبة وقلموا له بعض شيء وأنخروه أن يجمعوا للسلطان مالا، فقرر الأمر معهم على ذلك :

ثم فى بكرة النهار الذى هو يوم الجمعة السادس من شهر رمضان وصل الأمير تغرى بردى برمش ومعه بعض مماليك، ولم يسمعو عن الأمان الذى أعطاه الأمير تغرى بردى [المحمودى رأس نوبة] لأهل قبرس وشرعوا فى النهب والقتل والأسر، ووقع جفل عظيم وخباط كثير، وأخلوا شيئاً لا يعد ولا يحصى من أهل قبرس وبلادها وأسروا خلقاً كثيراً، وأخطأوا فى هذا الفعل لأن ذلك بعد الأمان غير جائز وليس ذلك من شروط الغزو، ثم بعد هذا أطلقوا النار فى قصر الملك ولم يخرج منه الأمير تغرى بردى رأس نوبة إلا بألف جهد، ثم توجهوا أجمعين إلى ناحية المراكب فى البحر : وهذا الفتح العظيم والنصر المبين لم يتيسر لأحد من سلاطين بنى أيوب ومن بعدهم من سلاطين الترك ولا من قبلهم أيضاً على هذا الوجه إلا للأمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان وكان ذلك فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه، وجهزوا الأمير جانبك رأس نوبة للبشارة بهذا الفتح العظيم والنصر العزيز للسلطان ولسائر المسلمين .

وفي يوم الأحد الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة تاريخه حضرت بطاقة من الطينة التي بالقرب من قطيا تتضمن حضور جانبك المذكور وصحبته ممالك .

وفي يوم الإثنين الثالث والعشرين منه قدم الأمر جانبك المذكور ومعه كتب من الأمراء المذكورين تتضمن جميع ما قدمناه من الأمور ، وأنهم واصلون وصحبهم صاحب قبرس مأسوراً في غاية الذل والهوان ، فعند ذلك دقت البشائر وزينت البلد وأبواب بيوت الأمراء ، ورسم السلطان أن يتوجه للملاقاة أربعة أمراء طبلخانات وأربعمائة نفر من الممالك السلطانية ويجهزوا في تحصيل مراكب بدمياط وسكندرية ، ورسم لهم بخيول وهمجن ومأكلا وإقامات ، ثم أمر القاضي بلس الدين بن مزهر كاتب السر أن يقرأ الكتاب - الذي وصل - في الأشرفية والمؤيدية ، فحضر كاتب السر والقضاة الأربعة إلى الأشرفية ، وصعد القاضي شرف الدين الموقع الحلبي نائب كاتب السر منبر الأشرفية وقرأ الكتاب وضحج الناس المجتمعون بها بالتهليل والتكبير والصلاة على سيدنا محمد البشير النذير ، ثم توجهوا إلى المؤيدية ، ووقف القاضي شهاب الدين بن تقي المالكي خليفة الحكم العزيز بالديار المصرية في أحد شبائيك المؤيدية المطل على الطريق وقرأ الكتاب فضج الناس والعوام بالتهليل والتكبير والصلاة والتسليم ، وكان يوماً مشهوداً وجمعاً محموداً .

وفي يوم الأربعاء ثالث شوال وصلت مراكب كثيرة من المجاهدين إلى دمياط متوجهين إلى القاهرة :

وفي يوم الإثنين الثامن من شوال دخل المجاهدون القاهرة وصحبهم صاحب قبرس في غاية الدل والهوان والتنكيل وهو راكب بغلة عرجاء ، وقد زينت البلد وخرجت البنت من خدرها ، وسنجه مسحوب بين يديه على الأرض وكان يوماً مشهوداً ، ووقفوا بين يدي السلطان في الحوش بالقلعة وعرضوا عليه أولاً صاحب قبرس ، ثم عرضوا الأسارى طائفة طائفة ، ثم عرضوا الغنائم من سائر الأصناف ، وكان يوماً عظيماً .

ثم رسم السلطان بتعويق صاحب قبرس في برج من أبراج القلعة .

وفي يوم الثلاثاء تاسع شوال أمر السلطان بتقويم السبي والغنائم تقويماً وأن يفرق على المجاهدين بقدر أنصباهم^(١) ، ورسم أن يجهز للأمراء جماعة من السبي ليفرقوهم على من كانوا معهم .

وفي يوم الأربعاء عاشر شوال أمر السلطان ببيع بقية الأسرى في الرحبة التي قدام بيت الأمير النائب [١٢٥ أ] عند الإيوان بالقلعة ، فأحضروا تجار سائر الأسواق لأجل بيع البضائع والأقمشة من الغنائم ، وأما صاحب قبرس فإنه لم يزل مقبلاً بالبرج الذي في القلعة إلى يوم السبت السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة ثلاثين وثمان مائة ، فأطلقه السلطان في هذا اليوم وخلع عليه خلعة سنوية وأركبه فرساً مسرجاً بذهب وكنبوش زركش ونزل في الكافوري ، وقرر عليه مائتي ألف دينار يقوم منها بمائة ألف دينار عاجلاً ، ومائة ألف أخرى إذا وصل إلى بلاده يرسلها في آخر السنة المذكورة ، ثم إن الأمير التاج متولى القاهرة شرع في التوجه محبة صاحب قبرس إلى

(١) أي أنصبتهم .

